رضوان أبو شويشة

الشعب الخفي

كفاح القومية والدين في ايرلندا

1798 – 1981

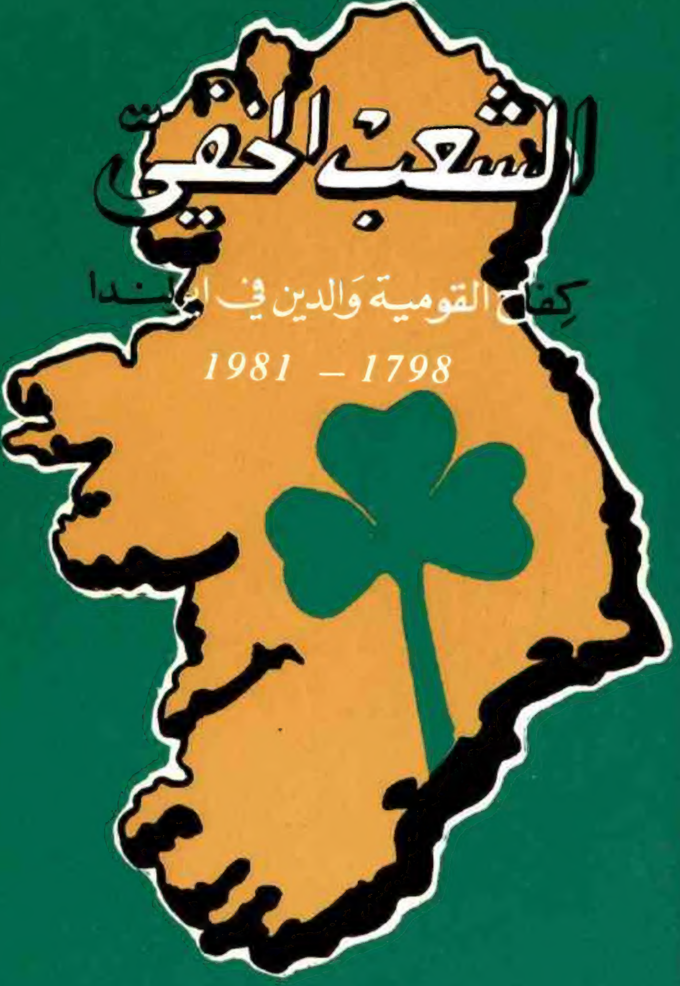

المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان
طرابلس – الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

عيسى يوسف الحويشي

الشعب الخفي

كفاح القومية والدين في ايرلندا

1798 - 1981

عيسى أبو يوسف الكوني

رضوان أبو شويشة

الشعب الخفي

كفاح القومية والدين في ايرلندا

1798 – 1981

المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان
طرابلس – الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

الطبعة الأولى

1394 و.ر - 1985 م

حقوق الطبع والاقتباس والترجمة محفوظة للناشر

المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان
طرابلس - الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

ص.ب 959 مبرق 20235 "نشرليبيا"

«الانجليز استخدموا السيف ضد الايرلنديين الكاثوليك ليس في عهد ادارة (حكومة) واحدة فحسب أو حتى في عهد عشرين إدارة أو حكومة ولكن طوال قرن من الزمان بأكمله. لقد لجأنا الى محاولة نشر المجاعة في ايرلندا بل ولجأنا الى اصطناع كل أساليب الظلم والاستبداد باستصدار القوانين الغاشمة ثم حاولنا وسائل التشريد والافناء ولم يكن الغرض من ذلك كله تحقير شعب بغيض أو كسر شوكته وحسب بل عملنا من أجل إبادة شعب بأسره في بلاد نبت فيها وشبّ وترعرع».

«المؤرخ الانجليزي توماس ماكولي»

1800 - 1859

مدخل

القومية الغاضبة

أول سكان الجزيرة الايرلنـديـة جـاؤوا عـام 600 ق. م. عابرين القنال الضيق بين اسكتلندا وأولستر... وعاش سكـان العصر الحجري الوسيط على الصيد وسط الغابات الكثيفة. ولا يعرف بالتحديد من أين جاء السكان الجدد، ولكنهم حملوا معهم ما يزرع في منطقة الشرق الأوسط...

غير أن النشاط المتصف بـالجماعيـة المنظمـة لم يبـدأ إلا في عام 1800 ق. م. ولكن الذي أعطى لايرلندا هويتها والتحم بتاريخها هم « السِّلت » وهي قبائل قوية محاربة.. كانت سائدة وسط أوربا: وشعب السِّلت؛ معروف في اليونانية القديمة باسم: Keltoi.. وعند الرومان هم: Galli وفي الانجليزية: Gaels أو: Celts وفي العربية يسمون أيضاً: بالكلت..

وانتشر شعب السلت شرقاً الى آسيا الصغرى، وجنوباً الى ايطاليا واسبانيا.. وأخيراً حط بهم الترحال في ايرلندا عام 700 ق. م. وايرلندا هي البلاد الوحيدة في الغرب الاوروبي التي لم تتعرض لسيطرة الرومان.

وفي القرن الخامس الميلادي، وصل القديس بطرس لينشر المسيحية، والكتاب المقدس.

[وايرلندا - نقطة ابتداء لما يصح وصفه (بالقومية الخالصة)، وذلك لأن أيرلندا تمتعت (بذاتية) بدت في جميع مناحي الحياة السياسية والاجتماعية بالرغم من رزوح هذه الذاتية تحت أقسى أنواع البؤس والاستبداد... وأمة توافرت لديها العوامل التي لا غنى عنها لتكوين الأمم وهي وجود الأرض التي يعيش عليها شعب من جنس واحد... ودين واحد... ويتكلم لغة واحدة.. وله ماض مشترك... وتلك هي العوامل التي سوف تتألف منها القومية الايرلندية.

ولكن ايرلندا ظلت في عزلة عن سائر بقاع الأرض بسبب البحر الايرلندي الذي فصل بين هذه الجزيرة البعيدة وبين

القارة الاوروبية والغرب عموماً ...].

وفي القرن الثامن كانت ايرلندا هي أول أمة ـ شمال جبال الالب ـ تصنع كياناً ثقافياً ونظماً، وتضع نصوصاً قانونية بلغتها القومية.

وكانت موجات من غزوات الفايكنج تصد طوال ثلاثة قرون. وبعد قتل ملكهم (تورغست) سنة 845 م، تحولوا إلى التجارة وتأسيس المدن مثل مدينة دبلن..

وفي عام 1155 منح البابا أدريان الرابع بركته للملك النومندي هنري الثاني كحاكم مطلق على ايرلندا... فقدم هنري الثاني عام 1171 من الجزيرة البريطانية على رأس حملة عسكرية تحت شعار الاصلاح الديني بتفويض من «الحبر الاعظم»! ولكن هذا الادعاء سرعان ما انكشف.. اذ استولى على مدن: دبلن، ليميريك، ويكسفورد، وكورك. وأعلن أنها من أملاكه الشخصية ووضع فيها حاميات عسكرية، وشرع في طرد الشيوخ الايرلنديين وتمليك أراضيهم للنبلاء.

وقد أفرز الاحتلال نظاماً إقطاعياً عدائياً لم تعرفه تلك

البلاد من قبل...

وخرجت ايرلندا تقاوم، وما أن تهزم في معركة حتى تبدأ بأخرى. وأشهر تلك المعارك ما وقع في سنتي 1175 - 1270.

وفي عهد الملكة اليزابيت الاولى - التي نصبت نفسها رئيسة للكنيسة - أصدر البرلمان قانوناً لسنة 1560 أصبح بموجبه لزاماً على الايرلنديين الكاثوليك تأدية الصلاة وفق الدين البروتستانتي وباللغة الانكليزية التي كانوا يجهلونها (!).

وكانت أولستر - شمال الجزيرة - هي أشد المناطق غضباً وتمرداً ضد التبشير الجبري، فقد التهبت الحرب دفاعاً عن الدين سنة 1579. وقاد هيو اونيل وورد أونيل ثورة قضت على المعمرين، فأرسلت لندن جيوشاً هائلة هزمها الثوار في موقعة: «مخاضة النهر الاصفر». سنة 1599..

ومن جديد لجأت بريطانيا للخداع، ووقعت معاهدة صلح.. كان نتيجتها خروج قادة الثورة ومائة شيخ ايرلندي الى المنافي.. ولم تفلح النجدات البحرية الاسبانية في تغيير مجرى الأحداث.

وصدر قانون « التوطين » الاستعماري سنة 1609 نـزعـت بموجبـه أخصـب الاراضي الشماليـــة ، وسلمـــت للانجليـــز والسكوتلانديين البروتستانت ، وهم في غالبيتهم من الجنود ، ثم نزعت الملكية من 90 % من الجزيرة باعتبار أنها من أرزاق وأطيان الملك . وسلمت لمغامرين وجنود انجليز .

وأعطيت مدينة ديري وهي من كبريات المدن لمقاولين من نقابة تجار لنـدن اعـادوا تسميتهـا بـ « لنـدن ديـري » ولجأ الايرلنديون الى الأكواخ يعملون كأجراء في فلاحة الأراضي - التي كانت ملكهم قبل يوم وليلة - أو كمستأجرين بمقابل مرتفع . وكانت تلك هي السياسة الرائجة لمئات السنين .

ومع عام 1641 .. ثار الايرلنديون من جديد وأنشأوا برلماناً وطنياً في كلكاني . ينادي بالحريات الدينية وباستقلال ايرلندا .

غير أن « كرمويل » أجهز على تلك الثورة بوحشية .. في ويكسفورد المشهورة « بمذبحة صليب ويكسفورد » سنة 1649 .

« ... ولقد اتبعت حكومـة الاحتلال مـع الأهلين خطـة إبادة وإفناء منظم ، ذهب ضحيتـه خلال السنـوات الإحـدى

عشرة التالية (1649 - 1660) ستمائة وستة عشر ألف إيرلنـدي من سكان بلغ عددهم مليوناً وأربعمائة وسبعين ألفاً. ثم أنشئت محاكم خاصة كأداة للاستمرار في أعمال الإفناء والإبادة سرعان ما صارت تعرف بـاسم (محاكم المجـازر)، فترتـب على هـذه المآسي أن غادر ايرلندا فراراً من بطش الانجليز حوالى ثلاثين أو أربعين ألفاً لجأوا الى أوروبا وأمريكا.

ولم يكتف الانجليز بما فعلوا فباعوا في أسواق الرقيق حوالى ستين ألفاً من الاطفال والنساء أو البنات للعمل في جزيرة جامايكا وجزر بـاربـادوس، وبهذه الوسـائـل نقـص عـدد السكان... الى أقل من مليون نسمة. ثم إنه لما كانت الحكومة قد صادرت أراضي الايرلنديين في مقاطعات (لينستر وأولستر ومونستر) فقد وزعـت هـذه الاراضي المصـادرة على جنـود كرمويل وعلى الذين استطاعـوا الاستحـواذ عليهـا بطـريـق التقـاضي أمـام المحـاكم التي صـارت تطبـق قـوانين التملـك الانجليزية. ودفع الانجليز أهل البلاد دفعاً ليرتدوا الى طرف الجزيرة الغربي، ليقيموا في مقاطعة واحدة فحسب هي مقاطعة (كِنـوت) «Connaught» والانجليـز مـن وراء أقفيتهـم

يتصايحون الى (كنوت) أو الى جهنم وبئس المصير. على أن الانجليز أدركوا أهمية الابقاء على عدد من الايرلنديين حتى في تلك المناطق التي أبيدوا فيها ابادة كادت تكون تامة، لاستخدامهم في أغراض مناوراتهم السياسية وكان لبقاء هذا العنصر «الضئيل» الفضل في إعادة بناء الشعب الايرلندي.

.. وبعد أن سلم اقليم ليمريك في غرب ايرلندا الجنوبي في اكتوبر عام 1691 - واتفاق (سلام ليميريك) صودر حوالى مليون فدان، ليستقر بها عدد عظيم من الانجليز الذين أتوا بهم من جديد الى ايرلندا. وفقد كبار الايرلنديين كل رجاء في الاحتفاظ «بالقومية الايرلندية» فغادر هؤلاء أوطانهم وهاجروا الى فرنسا. وأما الذين آثروا البقاء فقد رضخوا لكل إرهاق وقع عليهم... «وهكذا كان يبدو «الفتح» كأنه يريد إنشاء ايرلندا انجليزية تقوم عروشها على بقايا الوطن الايرلندي الصميم» [1].

(1) د. محمد فؤاد شكري، الصراع بين البرجوازية والاقطاع 1798 - 1848، المجلد الأول، (القاهرة: دار الفكر العربي، 1968 م)، ص ص 110 - 112.

وقد صدر قانون العقوبات الجزائي ضد الكاثوليك وكان ذلك بمثابة حكم على الايرلنديين بالهلاك.

وأعدم كبير أساقفة ايرلندا «أوليفر بلانكيت» في برج لندن بتهمة التحريض على الثورة.

وبموجب قانـون العقـوبـات، منعـت ممارسـة الشعـائـر الكاثوليكية، والتعليم باللغة الايرلندية الغيلية واقتناء الأسلحة والجياد.

وعزل الاساقفة الكاثوليـك الذيـن ذهبـوا تحت الأرض. ووضع ثمن لرأس كل قسيس، ومن ضبط وهو يمارس الوعظ كان يشنق، أو يباع كعبد في جزر الهند الغربية.

وقد لاقت أعداد هائلة مـن الايـرلـنديين التعسـاء نفس المصير البائس في تلك الجزر.

وهكذا أصبح دين الشعب الايرلندي ديناً سرياً. وبدأت بريطانيا تعامل الشعب الايرلندي على أنهم الهنود البيض.

« ... وقوانين العقوبات المعروفة بـ – Penal Laws – هي طائفة من القوانين بين سنتي 1695 ـ 1709 » قضي بسببها على حريات الاهلين الكاثوليك وحقوقهم المدنية ومنع اتباع البابوية

من التدريس في المدارس وفي منازلهم الخاصة، وصار محرماً على الاطفال تلقي العلم على أيدي معتنقي الكاثوليكية في بلادهم، كما منعوا من التعليم الكاثوليكي خارج بلادهم، ثم نفي رجال الدين الكاثوليك من ايرلندا، وحرم على البروتستانت الزواج من كاثوليك، ووضعت عدة شروط لتنظيم وراثة الأرض والاملاك الأخرى بصورة تمنع الكاثوليك من توريثها أو وراثتها »، وموجز القول إن هذه القوانين (قوانين العقوبات) فرضت سيطرة أقلية من البروتستنت على أكثرية من الكاثوليك هم أهل البلاد الايرلنديون.. وكان واضحاً أن الحكومة الانجليزية لم تكن تستهدف من سياستها إدماج الايرلنديين أو استيعابهم، وانما كانت نبغي اخضاعهم لسيطرتها الباطشة المستبدة من ناحية، ثم استغلال موارد البلاد واستنزاف دماء أبنائها من ناحية أخرى، تعتمد في تحقيق مآربها على وجود (الحامية) الانجليزية البروتستنتية مما كان معناه أن حالة حرب فعليه كانت قائمة بصورة مستديمة تحت ستار (نظام سياسي) معين... ولقد قامت هذه السيطرة الانجليزية في ايرلندا على دعامات عدة منها (قانون بويننجس) Poynings Law ـ نسبة

الى (ادوارد بوينجس) الذي حكم ايرلندا نائباً للملك هنري السابع . وصدر هذا القانون سنة 1494 ، وتضمن المبادىء التي صارت مرعية طوال القرون الثلاثة التالية من حكم ايرلندا ، وبمقتضى هذا القانون صار البرلمان الايرلندي مرغماً على الموافقة على القوانين التي تقدم اليه واستصدارها دون مناقشة أو تعديل لها ، وكما اعدتها الحكومة الانجليزية » .

« ... وكانت دعامات السيطرة الانجليزية في ايرلندا هي الإدارة السياسية ، والكنيسة الانجليكانية ونظام الملكية العقارية (والأرض) ، وكانت هذه أبعد الدعامات أثراً - وكان هؤلاء الانجليز [من أعيان البرجوازية (Gentry) عهدوا الى الوكلاء استغلال أرض الجزيرة المصادرة - نظير نسبة معينة من الايراد - وهؤلاء الوسطاء (الايرلنديون) كان ينقصهم التهذيب والتعليم ولا ثقافة لهم كما كانوا غلاظ الطباع أصحاب خشونة ووحشية في مسلكهم وأساليب حياتهم ...] ثم ذلك النظام الحكومي الذي هدف الى تحطيم أسباب الحياة الروحية والمادية في ايرلندا ...

ولقد كانت لهذه السيطرة الانجليزية آثار بعيدة . من ذلك

أن البروتستنتية التي فرضت على ايرلندا درجت على تعقب الكاثوليك بالاضطهاد والتشريد فمنع الكاثوليك وهم الايرلنديون من مزاولة طقوس العبادة الظاهرة كالحج ودق النواقيس وما إلى ذلك. ثم انه تقرر في سنة 1598 إرسال الاساقفة الكاثوليك والقساوسة الذين تمسكوا بالعقيدة ومظاهر العبادة الى المنفى، وأجيز فقط بقاء القساوسة الذين سجلت الحكومة أسماءهم في سجلاتها وكان عليهم أن يحلفوا يمين الولاء للحكومة ولكنيستها .وكان عدد هؤلاء القساوسة المسجلة أسماؤهم قليلا، وفيما عدا ذلك فقد اعتبر الاساقفة والقساوسة (خارج القانون) وخصصت المكافآت المالية للارشاد عنهم. وسمي هؤلاء الذين يرشدون عن رجال الدين (الخارجين على القانون) بصائدي القساوسة - Priest Hunters - [2] واستبعد الكاثوليك من الوظائف العامة وحرموا من مزاولة جميع المهن - عدا الطب - وقضى على الصناعات الوطنية وصدر قانون التمييز الطائفي Test Act - عام 1673 .

---

(2) محمد فؤاد شكري، نفس المرجع، ص 114 وما بعدها.

— 1 —

صيف دموي وبلا ملك

« عرافة تتنبأ بثورة 1798 »

إنها ايرلندا في نهاية القرن الثامن عشر، ضرّمها بركان الثورة الفرنسية والاميركية وكتابات توماس بين عن حقوق الانسان وعصر العقل..

وفي الساحة ولف تون [3] الأب الروحي للحركة الجمهورية

---

(3) ليوبولد ولف تون 1763 - 1798 عمل على تحرير ايرلندا وانشاء الجمهورية. جمع الكاثوليك والبروتستانت في ائتلاف ثوري. منح رتبة جنرال في الجيش الفرنسي لشجاعته، وجمعته صداقة مع الامبراطور نابليون بونابرت. وأقنعه بارسال حملة لمساعدة الثوار في ايرلندا.. وقع في الأسر سنة 1798 عندما كان على رأس الحملة البحرية الفرنسية. وبعد رفض طلبه باعدامه كجندي باطلاق الرصاص عليه بدل الشنق.. =

ومؤسس المنظمة الثورية « الايرلنديون المتحدون » سنة 1791 ..

وتون ـ ابن صانع عربات درس القانون في جامعة دبلن ـ نفي بسبب نشاطه السياسي، وكتاباته التي كانت نفيراً للثورة. ولكنه ترك تنظيماً سرياً صلباً رغم مخططات سلطات الاحتلال لإذكاء العداء الطائفي بين فئات الشعب. وموافقتها قانوناً على نشاط منظمة « أخوية الاورنج »[4] الموالية للاحتلال سنة 1795 ... وكانت الاوامر ترسل من الامين الأول توماس بلهام الى الجنرال كنوكس قائد الجيش في أولستر باتباع سياسة

= كخائن للتاج.. انتحر بجز رقبته بسكين. ويعتبر خطابه من قفص الاتهام وصية ثورية ذائعة الصيت في بلاده. ومن مؤلفاته « دفاع بالنيابة عن الكاثوليك الايرلنديين » رغم كونه بروتستانتي العقيدة. وقد شارك عدد كبير من بروتستانت الشمال في ثورات ايرلندا.. ومؤلفات ولف تون؛ معارضات سياسية شاعرية الصياغة. أثرت في كل الحركات الثورية بعده. وتحتفل ايرلندا بذكراه السنوية في « بوندس تاون » حيث دفن..

(4) فريق رهباني بروتستانتي شديد التعصب يدين بالولاء لبريطانيا. نشر الاضطهاد ضد الكاثوليك...

فرق تسد ، وتأجيج البغضاء بين الكاثوليك والبروتستانت . قال الامين الاول بلهام في رسالة الى القائد البريطاني :

« آمل ألا يتحدوا أبداً والفن العظيم أن نجعلهم دوماً غير متحدين . . » .

كان ولف تون . . في باريس ، واعضاء المجلس الاداري للايرلنديين المتحدين في دبلن يعتقدون أنه لكي تنجح الثورة . . لا بد من المساعدة الفرنسية . .

وفي 16 مارس 1776 أبحرت الحملة الفرنسية المكونة من 35 سفينة ، و14 ألف جندي الى خليج بنتري (جنوب غربي ايرلندا) لطرد المحتلين بمساعدة الثوار . . . واعلان الجمهورية الايرلندية . .

وتلك هي الخطوة الأولى للاطاحة بالملكية في بريطانيا .

وفي سفينة القيادة «Indomptable» الحاملة لخمسين مدفعاً كان ولف تون مع الجنرال لازار هوش قائد الحملة . . وهو من العسكريين المقتدرين في الجيش الفرنسي .

ولسبب ما انفصلت سفينة القيادة عن بقية الاسطول وتأجّل

مذبحة صليب ويكسفور في عهد كرومويل
السفاح 1649 إحدى مجازر التاريخ الاستعماري

الانزال، ولخمسة أسابيع، كانت الرياح الغربية متواصلة..

وفي الحادي والعشرين من ديسمبر كان الطقس ملائماً.. ولكن سفينة القيادة لم تصل. وفي اليوم التالي اشتدت الريح، والمطر.. وهبط الثلج.. وفي عشية عيد الميلاد تحولت الريح الى عاصفة هوجاء.. ثم تحولت العاصفة الى إعصار مدمر. وخشي على الاسطول من الغرق. وجاءت إشارة من القيادة.. وسفينة أثر سفينة.. انسحب الاسطول عائداً الى فرنسا..

وفي عام 1791.. والثورة الفرنسية في عامها الخامس من الحرية.. اعتقدت أوروبا أن الحل يكمن في هذه الثورة.. وأصبحت هولندا، وسويسرا، وشمال ايطاليا جمهوريات بمساعدة جيش فرنسي.. وبرز من وسط الصراع الثوري الفرنسي الجنرال نابليون بونابرت.. الذي كتب الى وزير خارجيته:

«على حكومتنا أن تحطم الملكية في بريطانيا.. أو أن نتوقع أن يطاح بها من قبل هؤلاء الشجعان المثيرين سكان الجزر الايرلنديين».

واذ ذاك، التقى ولف تون بالامبراطور نابليون بعد عودته منتصراً من ايطاليا بحضور سفير الثورة الايـرلنـديـة «أدوار لويس»..

كتب ولف تـون عـن نـابليـون الذي كـان في التـاسعـة والعشرين: «بدا كمدرس للرياضيات يظهر عليه التعب من انجازاته الحربية.. ولم تكن على محياه تلك القوة العقلية الهائلة وهو يتحدث».

وأبدى نابليون إعجابه بولف تون.. وخبرته العسكرية.. وعندما علم أن ولف تون لم يدرس العلوم العسكرية.. أثنى على خبرته وشجاعته..

وأمر نابليون الورش الهندسية البحرية باعداد سفن لنقل الجنود في أقصر وقت، بل في بحر أسابيع وأشرف بنفسه على هذه العمليات في جولات تفقدية.

ففـي دنكـرك أمـر رئيس المهنـدسين بـأن يحرك السماء والأرض لاعداد 50 سفينة شراعية كبيرة في إمكانها نقل 5 آلاف جواد، و50 ألف رجل.. وأمر هولندا بتجهيز 30 سفينة

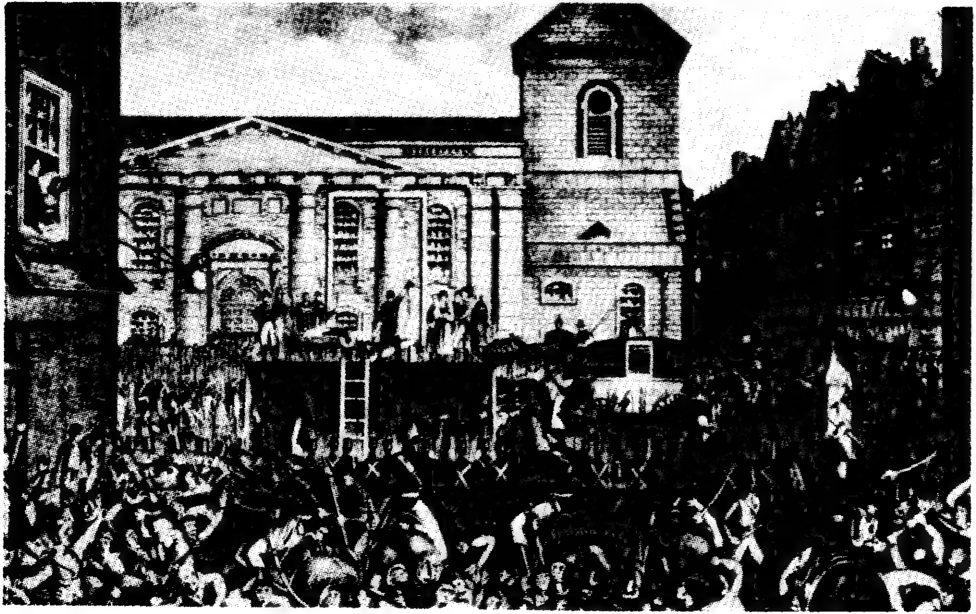

إعدام روبرت ايميت قائد انتفاضة 1803 مع افراد قلائل وقد اخترع صاروخاً لضرب قلعة دبلن.

مدفع، ومئات السفن الصغيرة..

وفي «ليل» المدينة الفرنسية قُطعت كل الأشجار على الطرق الموصلة إليها من العاصمة.. وتدفقت العربات محملة بالجذوع الى ميناء الهافر، ورمت ديار مصانع السفن بالمراكب الجديدة الى البحر..

وكان 25 ألف جندي على أهبة التحرك خلال ساعة من تلقي الأوامر..

وفي دبلن، بدأت التقارير تصل من ممثلي السلطة العسكرية في الاقاليم الريفية.. بأن جيشاً من الفلاحين بدأ يتشكل.. ويهاجم قصور وقلاع الاقطاعيين بحثاً عن الاسلحة.. يقول أحد التقارير:

«إن أشجار الدردار الجميلة في بيوت الاشراف تقطع لتصبح أذرعاً للرماح».

واغتال الفلاحون العقيد س. ت. جورج.. الحاكم العسكري للمناطق الجبلية بين كورك وتيباريري.. الذي كتب في تقريره الأخير: «الرعاع استولوا على مناطق الريف

بكاملها ».

واجتمع المجلس الاداري الثوري لمنظمة الايرلنديين المتحدين لوضع اللمسات على عمليات الثورة وتحديد ساعة الصفر.. بعد الحاح من القادة ـ مثال آرثر اوكنور، ولورد ادوارد فتجيرالد ـ[5] بأن البلاد جاهزة ومنظمة، ومستعدة للثورة دون انتظار لمعونة فرنسية. وبعد أن اصبحت نصف حامية دبلن من المجندين الإيرلنديين من المنضمين للحركة.. وكيف أن العاصمة ستسقط خلال دقائق وأن الاغنياء فقط هم خارج الثورة[6].. وخرجت جريدة « الصحافة » التي يحررها

---

(5) ثائر، ورث اللقب الارستقراطي، تخلى عن عضوية البرلمان ـ بعد أن يئس من أي اصلاح عن طريقه.. حارب مع الثورة الأمريكية وهو الوحيد في المجلس الثوري الذي خبر العسكرية. أعتقل قبل ثورة 1798 بأسابيع وأصيب بجراح بعد أن قتل ضابط الحرس الذي اعتقله. ومات في السجن. وأصبح اللورد ادوارد فيما بعد رمزاً في قصائد الشعراء الايرلنديين خصوصاً. و. ب. ييتس..

(6) لم تكن ثورة 1798 مؤامرة ضد البروتستانت حسبما تزعم المصادر البريطانية، بدليل ان معظم القادة من البروتستانت: ولف تون، اللورد =

« آرثر أوكنور » بعناوين تدعو الى الثورة:

« حانت ساعة اللورد الكسول ».

« الأرض التي انتزعتها النذالة الملكية هي لمن يحررها ».

... وفي الصباح الذي اجتمع فيه المجلس الاداري الثوري طوقتهم الشرطة. واعتقلوا[7].

وهكذا أصبحت الثورة، ثورة بلا قيادة..

وكانت إشارة التحرك في انحاء ايرلندا وهي توقف عربات البريد - التي تنتظم قوافلها في العاصمة يومياً وبدقة - وتلك خطة ذكية.. في زمن ليس فيه أدوات اتصال..

ولم يبق من يقود الحركة سوى نفر قليل.. لم يستطيعوا ان

= ادوارد، وليام ماكنيس، جون لويس..

(7) عين الفلاح مايكل ريندولز مكان القائد كونيس الذي اعتقل. والى جانب قلة ممن لديهم خبرة عسكرية.. كان القساوسة الكاثوليك هم قادة الثورة:

مثال: روش ومورفي.. وسيأتي تفصيل ذلك.

يتصلوا إلا بمناطق... ويكسفوود ـ التي خرجت للثورة بكل ثقلها ـ وكلدير.. وبعض مدن الشمال.. في ثورة وطنية مات فيها سبعون ألف شخص.. وفشلت خطة إيصال الأوامر عن طريق تعطيل عربات البريد.. فلم تحرق سوى عربة بريد واحدة.

وصدرت الاحكام العرفية وأمر القائد البريطاني ـ سير تشارلس اسفيل ـ الاهالي بتسليم أسلحتهم.

« يجب تسليم الأسلحة، والا سنحول البلاد الى قاع صفصف »...

وكان نتيجة ذلك تسليم:

250 بندقية مسكيتي ـ (بندقية قديمة الطراز خاصة بجند المشاة) وبندقية قصيرة، ومسدس.

و300 رأس رمح.. وقد سلمها الاهالي للقساوسة. وجردت حملات تفتيشية لا تعرف الرحمة خصوصاً التي كانت تحت امرة جون باريشفورد.. وكانت تلك الحملات تجرد الفلاحين من مواشيهم وأقواتهم.

وأحرقت البيوت وبيادر القمح.

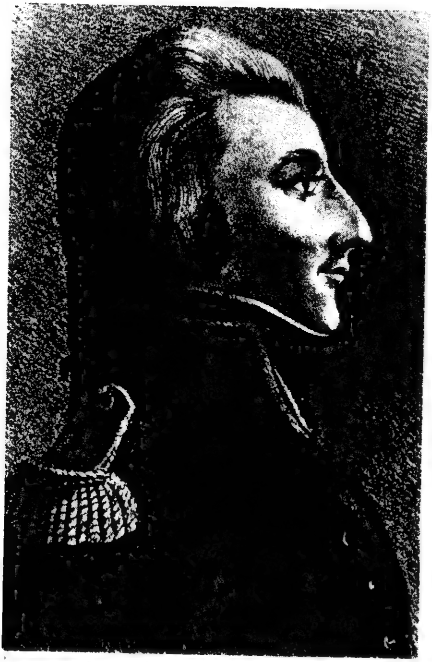

ولف تون المحـامـي وأب الحركـة الجمهورية الايرلندية جمعته صداقة بنـابليـون، منـح رتبـة جنرال في الجيش الفرنسي أعدمـه الانجليـز بعد ثورة 1798

يقول ضابط بريطاني مبرراً التصرفات الهمجية: « أجبرونا على دمارهم ».

ولثلاثة أسابيع استباحوا الجنوب، خربت قرى بكاملها.. واتلفت المحاصيل والاعلاف، وذبحت أبقار الحليب وثيران الحرث..

وتحولت فرقة التنين التاسعة الى فرقة وحوش.. وذكر اللورد دي كامب في مشاهداته:

« إن قوات صاحب الجلالة تحولت الى قطيع أوغاد وسفلة ».

وبدأت الآلة المثلثة ـ شبيهة بالفلقة ـ تعمل عملها التاريخي.. واعتقل كل حدّاد ايرلندي.. أو من اشتبه بأنه حدّاد اذ اعتقد بأنهم صناع رؤوس الرماح.

كانت الفلقة سياسة رسمية في فصل الرعب الذي وصف بانه لا مثيل له في تاريخ أوروبا الحديث..

ولم يكن أمام السكان المساكين في الجنوب الا الجبال، فأخذوا كل ما يمكن أن يقاتلوا به. والى هناك ذهبوا..

وفي منطقة ويكلو ـ التي تحكمها ثلاثون عائلة نبيلة أعطى القساوسة بركتهم للثورة القادمة..

في الثامن والعشرين من مارس، زحفت الجموع من الفلاحين والقرويين، والتحق بهم أناس ينزلون من جبال كلدير، وانتشروا راسمين هلالاً بشرياً يحيط بالعاصمة.

وقع أول صدام في بروسبيروس أحد مراكز صناعة القطن. وهذه المدينة ـ يتقاسم ملكيتها شخصان انجليزيان ـ سقطت خلال ساعات...

وفي كلكولين، حيث قوات الجنرال رالف داندس آمر الأراضي الوسطى ـ الذي عهد إليه وفق خطة معدة سلفاً الاجهاز على الثورة في مهدها ـ تمت أولى المواجهات الكبيرة بين جيش من الفلاحين وهذه القوات من مشاة، وفرسان فرقة التنين التاسعة، وسيافة سوفلك..

كان الثوار يعسكرون فوق جبل صغير، وأمامهم المدينة المهدمة وراء حائط صخري، استغلوه كساتر من المدفعية..

وجاء أول هجوم لخيالة الجيش الملكي.. انتهى بافنائهم،

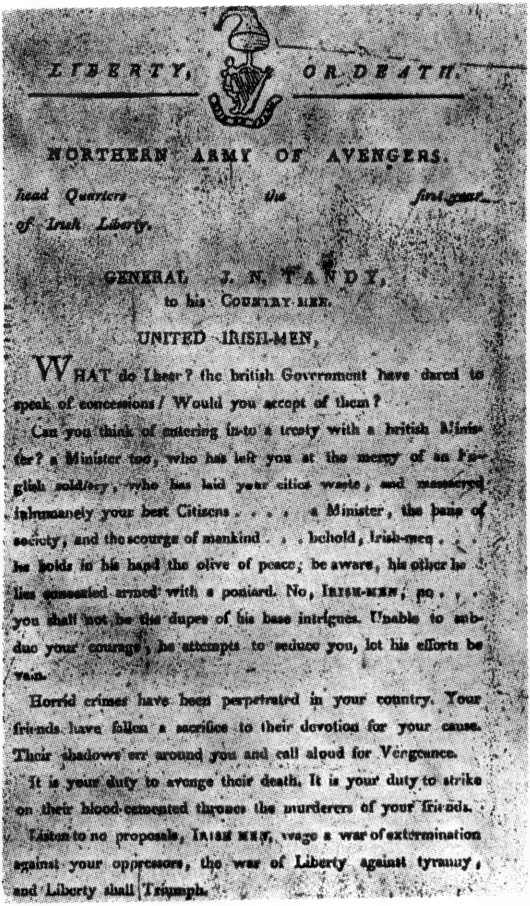

LIBERTY, OR DEATH.

NORTHERN ARMY OF AVENGERS.

head Quarters the first year of Irish Liberty.

GENERAL J. N. TANDY, to his COUNTRY MEN.

UNITED IRISH-MEN,

WHAT do I hear? the british Government have dared to speak of concessions! Would you accept of them?

Can you think of entering in-to a treaty with a british Minister? a Minister too, who has left you at the mercy of an English soldiery, who has laid your cities waste, and massacred inhumanely your best Citizens . . . . a Minister, the bane of society, and the scourge of mankind . . . behold, Irish-men . . . he holds in his hand the olive of peace; be aware, his other hand lies concealed armed with a poniard. No, IRISH-MEN, no . . . you shall not be the dupes of his base intrigues. Unable to subdue your courage, he attempts to seduce you, let his efforts be vain.

Horrid crimes have been perpetrated in your country. Your friends have fallen a sacrifice to their devotion for your cause. Their shadows are around you and call aloud for Vengeance.

It is your duty to avenge their death. It is your duty to strike on their blood-cemented thrones the murderers of your friends.

Listen to no proposals, IRISH MEN, wage a war of extermination against your oppressors, the war of Liberty against tyranny, and Liberty shall Triumph.

منشور من الجنرال تاندي قائد الثار الشمالي للايرلنديين المتحدين في ثورة الحرية عام 1798

ووقع الضابط جون باريشفورد ـ الذي ارتكب المجازر ضد الفلاحين قبل ستة أسابيع ـ في أسر إمرأة عجوز أنهته بمدية جيب [8].

وانسحب الجنرال داندس الى نيس (50 ميلا جنوب العاصمة) وأمر بانسحاب عام لكل القوات من الجنوب.. فتراجعت قوات الجنرال ويلفورد تاركة معداتها الشخصية وأسلحة كثيرة.

وكانت « كارلو » قد شهدت هزيمة رئيسية للقوات الملكية أمام جيش الثوار بقيادة الاسكافي مايكل هايدون.

واستسلمت الحامية بعد حرب خاطفة.

وأرسلت تعزيزات برئاسة الجنرال كريج ما لبث أن عاد منسحباً إلى العاصمة ـ حيث تمركزت كل القوات دفاعاً عنها.

---

(8) كانت الرماح هي سلاح الثوار الرئيسي واستمر كذلك لمئة عام في ثورات 1848 ـ 1896ـ1916 وهي ذراع خشبية طويلة (10 اقدام) على رأسها سكة من الحديد القاطع.

وفيما كانت مجموعات الثوار برئاسة مـايكـل هـايـدون في « كارلو » تتعامل مع أسرى جيش الملك برحابة صدر . كانت المذابح تقام في المناطق الأخرى ضد الكاثوليك.. ففي دنلافن أعدم الجيش الملكي كل فارس محلي..

وفي مناطق أخرى.. ضرب أحد النساك بالفلقة حتى مسه الجنون إذ وجدت في حوزته نسخة من كتاب حقوق الانسان.

وضرب آخر بالفلقة حتى الموت وجد معه كتاب صلاة كاثوليكي..

تعالوا إليَّ

أيها المحاربون الأشراف المشاهير
يا من قدتم الاوباش في الحروب
تعالوا إليّ..

لتلقوا برياشكم وأوسمتكم،
وتسلموا أسلحتكم بأيد مرتعشة.
فمن حلم كسول، نهض الكاهن مورفي
في ضواحي ويكسفورد
ليقطع دابر اضطهاد السكسون.

«القس مورفي أحد قادة ثورة 1798»

كـان الكاهن « القس » جون مورفي الذي أحرقت كنيسته يقود مجموعة من الثوار - نصفهم مسلح - كمنوا لفيلق من الفرسان.. يقوده أحد الملاك الطغاة (جون دونافون) جنوب « هارو » وأمطروهم بالحجارة والحراب، وغنموا أسلحتهم.

وهذا الكاهن - الذي تعلم في مدارس السياج السرِّية - من قادة تلك الثـورة التي خـاضهـا القسـاوسـة الصغـار ؛ وأدانها الأساقفة الكبار..

... وانتشرت المذابح ترتكب في كل مكان ضد الفلاحين الكاثوليك والنيران تحرق كنائسهم. ولم يكن أمام هؤلاء إلا أن يحاربوا أو يحرقوا داخل بيوتهم.

وأمام زحف الفلاحين فرّت عائلات الاقطاعيين في السفن الى انجلترا.

وجاء جيش جرار من العاصمة في هجوم مضاد تحت إمرة العقيد «فوت»، يسير في خيلاء على قرع الطبول.. يحرق في طريقه وينهب إلى قرية «بالينا مونابيج».. حيث تعسكر فرقة من جيش الفلاحين بقيادة القس جون؛ مخيمة على قمة جبل «أولرات» الذي يمتد أمامه واد فسيح مزهر..

وصعدت قوات «فوت» الجبل الصخري لاقتحام مواقع الفلاحين الذين انتظروهم في صمت ثم أجهزوا عليهم بالرماح ومناجل الحصاد والمذاري.. والفؤوس..

وشوهد العقيد فوت الذي أصيب بالذهول يتراجع بصحبة عريف وحامل البوق.. وضارب الطبل.

هؤلاء هم من بقي من جيش المعاطف الحمراء.. إنها نتيجة سيئة، وكارثة بالمصطلح العسكري.. فقد كانت هذه الفرقة، مجمل القوة التي أنيط بها إخماد الثورة..

وانتشرت أخبار الهزيمة الجديدة، وتقـدم الجيش الثـوري واحتل كل الطرق الموصلة ما بين ليميريك وكورك.

وأبعد من كلدير، كانـت الحرب تـأخـذ شكـل حـرب العصـابـات التي وضـع أسلـوبها اللـــورد إدوارد فتزجيرالد: الالتحام المتقارب ـ حتى تفقد الأسلحة النارية فعاليتها.

.. وفي تلك الأثناء عَمَّت الثورة أرض الشمال.

وفيما كان الجيش الثوري الرئيسي يعسكر فوق جبل (تارا)

[المشهور في الأساطير الايرلندية كرمز للكبرياء القـومـي]. لجأت سلطات الاحتلال إلى الخديعة. فأعلنت عن رغبتها في التفاوض.. وأقرت الهدنة.

انصرفت أعداد هائلة من الثوار لتفقد عائلاتها وحقولها.. وبينهم عدد من الرعاة الذين تركوا قطعانهم منذ الحرب.

وإذ ذاك في زمن المفاوضات ـ حوصر من بقي على جبل تارا، وقصفوا بالمدافع.

.. وتكومت جثث الثوار فوق الجبل. أو ألقي بها من فوق الجرف السحيق..

وصور الجنرال داف على أنه أحد أبطال التاريخ العسكري البريطاني.

وفي بالتيمور.

«تركت الجثث لتأكلها الخنازير الهائمة وسط مدينة ميتة يغشاها الرماد»..

انتفاضة الشمال

في بلفاست كانت الحركة منتظمة بقيادة جـون هيـوجس (ناشر كتب).. وجوني مـاك كريغان ـ من البروتستانت، ومن رفاق ولف تون ـ وكانا قد أقسما يمين الولاء للثورة. وحدث التحالف بين الكاثوليـك والبروتستـانـت ـ الكنيسـة المشيخية ـ في حرب تحرير الارض.. تحت شعارات الثورة الفرنسية: الاخاء والمساواة والعدالة.. وحالما وصلت أنباء ثورة الجنوب «والمذابح ضد الفلاحين». جهَّـزت كتـائـب الشمال أسلحتها من الرماح والفؤوس، وقطعة مدفع نحاسي قديم..

وانطلـق جيش الثـورة مـن عشرة آلاف فلاح ينشـدون المارسيلييز ـ نشيد الثورة الفرنسية ـ وأغنية الكادحين.. (أغنية ثورية قديمة) في مسيرة هائلة تحت قيادة ماك كريغان وسقطت

أولى المدن المهمة اينسكورتي.. وكانت حرائق المدينة تشاهد من مسافة عشرات الأميال..

وترجِّع الشهادات التاريخية البريطانية.. أسباب هزيمة جيش الملك أمام الجيش المتحـد.. والدفـاع اليـائس.. بعـدم خبرة القيادة العسكرية..

وكانت خطة الثوار بسيطة إذ أرسلوا أمامهم آلاف الأبقار والثيران.. التي داست الجنود أو أثارت فيهم الذعر.. والقناصة القلائل يركِّزون إطلاقاتهم على الضباط.

في الهجوم الكاسح على مدينة اينسكورتي.. اتبع الثوار خطة جديدة الى جانب طريقتهم المميزة وهـي الالتحـام القـريـب لافقاد الأسلحة النارية تفـوقهـا.. كما هـي خطـط الثـوار في الجنوب إذ أرسلوا آلاف الأبقار والثيران التي هيجتهـا النيران وطلقات الرصاص على خطوط الجيش.. فـاخترقتهـا مسببـة الذعر والفوضى.. وتسللوا خلف القطعان، والتحموا بالقوات الملكية بالسلاح الأبيض والهراوات.

ووقعت التعزيزات في كمين محكم عند جسر نهر سلاني. ومع الظهر سقط نصف المدينة. وفر سلاح الفرسان الى الغابات..

وتراجع الجنود في فزع.. ونزع الضباط شارات الرتبة المكلية. وبعد نصف يوم من الحرب ارتفع علم الثوار الأخضر فوق المدينة..

وفي الجنوب من اينسكورتي كان الجنرال سنو.. يتقدم بقواته المزودة بالمدفعية النارية والمدفعية القذّافة، والمدفعية الملكية.. متجهاً الى « ويكسفورد » عاصمة الثورة..

ومن كمين أجيد تمويهه وسط الصخور في منطقة « الصخيرات الثلاث » كان جيش ثوري آخر يطوقهم.. ولم ينج من طليعة جيش الجنرال سوى ضابط وبضعة أنفار عادوا بخبر الهزيمة الى الجنرال في خيمته فانسحب ببقية الجيش. وبدت بقية القوات على حافة التمرد، وفقد الضباط سيطرتهم على الجنود المروعين. ويطلق على هذه المعركة في التاريخ العسكري البريطاني. بـ « موقعة جبل الخل ».

وعقدت القيادات الكبيرة في الشمال مجلس حرب وأرسلت رسائل ود الى قادة الثوار الذين كانوا قبـل قليـل يـوصفـون بالأوغاد ..

وأصبح عدد الثوار في الشمال يزيد على عشرين ألف فلاح.

وانضم اليهم الجنرال ـ الايرلندي ـ « ج. بي تاند » ..

في بدايات الربيع
غردت العصافير الصغيرة..
قافزة من شجرة الى شجرة
مرددة أغنية قديمة
عن ايرلندا الحرة..

«أغنية الحصّاد الصغير»

(1798)

كان نائب الملك في العاصمة دبلن قد ملكه الرعب. فلم يعد يهمه إلا الدفاع عن العاصمة ـ فهذا هو الرمز الذي بقي للامبراطورية ـ ولم يسمح لقوات الجيش أن تبتعد عن ناظريه.

وكان المستشار العسكري للملك في دبلن هو العقيد ويلبول وهو الأخير الذي أرسل إلى الشمال.. بعد ستة جنرالات فاشلين..

وتصف المصادر التاريخية العسكرية مستشار الملك العسكري في إيرلندا بالحمق والرعونة.. لأنه أمر قواته بعبور ممر جبلي لا تؤثر فيه المدافع يتحصن فيه الثوار. ولم يستمع الى توسلات الضباط بالانسحاب..

وكانت الرماح المتربصة في انتظار هذه القوات.. ومثلما حدث في «الصخيرات الثلاث» وميت، وأوليرات وويكسفورد.. جاءت نتيجة الحرب محزنة للملك..

خيّم الرعب على بقية القوات.. في العاصمة التي توقع لها أن تسقط - ولم تنتشر أخبار هزيمة «ويلبول». فتلك هزيمة معنوية لبقية الجيش.. وأعطي لثوار الشمال السيطرة على مناطق مهمة وواسعة - فيما كان الجنرال «لوفتوس» في الجنوب وهو الجنرال السابع خلال شهور يهزمه جيش الثورة يتراجع مبتعداً عن اللهب.

وفي ويكلو.. احتفل الثوار بميلاد الجمهورية. ويجهد كتاب التاريخ الاستعماري أنفسهم في تصوير أحداث فردية.. لتقديم مهرجان الحرية الكبير على أنه كرنفال للعربدة.. ولجيش بدون زي موحد ما عدا القبعات والقلنسوات الخضراء. وبالباحثين عن الويسكي وسط الدكاكين المحترقة.

كانت ثورة فلاحين بسطاء يقودهم قساوسة وشعراء.. خلدت شعراً، وتاريخاً حربياً.. بني على أساس تعليمات بسيطة، للورد إدوارد.. وكتابات ولف تون المحامي، واجتهادات

القساوسة الصغار (روش، ومورفي، وكيران).

أصبحت ويكلو عاصمة الجمهورية. وارتفعت الرايات الخضراء وأغصان الأشجار على المباني، والكنائس.. حتى البرتستانت جرفهم تيار الثورة والعيد.. فرفعوا الأغصان والرايات الخضراء..

كان ذلك أول يوم لميلاد الجمهورية..

... التحقت العائلات بالثوار في مهرجان حافل، وأجريت مباريات الألعاب الشعبية السلتية..

.. وأفرج عن «بانقال هارفي» ـ عضو التجمع السري للثورة ـ من السجن ليصبح القائد العام لجيش الفلاحين بتصويت شعبي.

وعين ضابط بريطاني متقاعد، عرفت عنه الشهامة والتعاطف مع الثورة كحاكم عسكري للمدينة.

.. لم تأخذ الثورة منحى عنصرياً.. وحتى الدكتور كوالفيد كبير رجال الدين الكاثوليك لم يتعرض له، وهو الذي كتب الى الحبر الأعظم (البابا) في روما طالباً أن يطرد روح الثورة

عن الرعية في ايرلندة، وقال: «إن الشيطان نفسه شارك في هذه الثورة ضد التاج»، وسمح له بالتدخل في حدود معينة.. وكان هذا الأسقف قد حرم كنسياً الكاهن الثائر فيليب روش ووضعه في خانة الفجور بسبب قيادته لفريق من الفلاحين.

ولم يضطهد أحد من البروتستانـت الموالين للملـك.. وفي ويكلو.. كما في كل المناطق الثائرة، كان السلاح من المذاري ومناجل الحصاد والهراوات والفؤوس والرماح وعدد قليل من البنادق.

وقد تحولت ويكلو الى مصنع للسلاح، وزوارق الصيادين الى دوريات خفر للساحل للتعرض لبحـريـة الامبراطـوريـة البريطانيـة التي لم تجرؤ على الاقتراب مـن السـاحـل الجنـوبي للجمهورية. ووضعت على مدخل الميناء فوق البرج ثلاث قطع مدفعية قديمة.

وخلال الليل والنهار كان دوي مطارق الحدادين يسمع مع إيقاع الأغاني.. وافتتحت مصانع أخرى خلوية.

وشهدت تلك الفترة دخول العديـد مـن البرتسـتانـت الى

المذهب الكاثوليكي وتزاحموا لقبول التعميد.

وأصبح الشعار الجديد:

« ليحمي الله حقوق الانسان بدلاً من ليحمي الله الملك».

ومن بين القساوسة البارزين في الثورة الكاهن كيران.. الذي استطاع مع كتائب من جيش الفلاحين اقتحام عدة مدن شمالية.

وكان القساوسة يحاربون في أرديتهم الكنسية. غير أن ترشيح بانقال هارفي القائد الجديد، « لأكبر قطع الجيش» كان اختياراً مهلكاً.. فمن أجل مجد شخصي، بدأ يفكر في تسليم رأس الثورة فوق طبق.. وربما لم يكن كذلك.. بل كان مجرد إنسان مسكون بالهزيمة.. وبلا خبرة سابقة. ضعيف الهمة وسهل الانكسار.

أَجَّل الهجوم الرئيسي مرة تلو الأخرى، مبدداً أياماً حساسة في التعبئة، معطياً الفرصة لهجوم مضاد أو للاستعدادات الدفاعية.

وخيموا على جبل كوبرت عند مشارف مدينة روس.

في تلك الليلة ترأس هارفي مجلس الحرب، واقترح خطة للهجوم من مناطق تحميها المدفعية ليقودهم الى مذبحة بالضبط..

خطة جديدة، تختلف عن أسلوب جيش الرماح الذي كسب انتصاراته بالاقتحام المباشر كي تفقد الأسلحة النارية فعاليتها..

وفوق ذلك كله أرسل الى قائد قوات الحكومة الجنرال جونسون يقترح التفاوض. وبسبب ذلك رجع بعض القادة الى ويكسفورد.. وبقي من بقي ليسحق..

ومع شروق الشمس، زحفت الجموع مباشرة من الجبل على أرض مكشوفة للمدفعية العدوّة الجاهزة لإرسال قذائفها القاتلة.

ورغم ذلك، اقتحم الثوار خط المدافع والبنادق ليموتوا أفواجاً تلو أخرى.. صورها القائد البريطاني الجنرال جوستون:

«إن الشجاعة التي أظهرها جيش من الفلاحين غير المتمرسين بالحرب هي شجاعة خارقة، حاربوا كالأبطال،

هجمة، بعد هجمة، كانوا يواجهون قنابل المدافع والرصاص برماحهم الطويلة».

هذه شهادة من جندي شهم.. أما «كُتّاب التاريخ الاستعماري» فيقولون:

«دفعهم الهوس الديني، أو حمى الويسكي للحرب بضراوة».

ومرة تلو مرة غيّر القائد العام هارفي خطة القتال.. ومنعهم من مهاجمة البوابة الرئيسية من خلف المدافع للالتفاف. وتقدمت أفواج الثوار بقيادة «جون كيلي» تشتتهم النيران في اقتحام خطر. وبعد جرح جون كيلي ضاعوا في دخان الحرب وسط المدينة..

أما فرقة التنين الملكية الجديدة التي وصلت الى أرض المعركة فقد أبادتها الرماح ووقع قائدها اللورد مونتجوي أسيراً لمحاربة صغيرة. وتواصل زحف الثوار عبر الشارع الرئيسي، يهاجمون وقد غطاهم الغبار ودخان القنابل السوداء عيار 12 رطلاً..

وطوال الوقت واجهوا المدافع المزمجرة مباشرة.. ولم يرسل

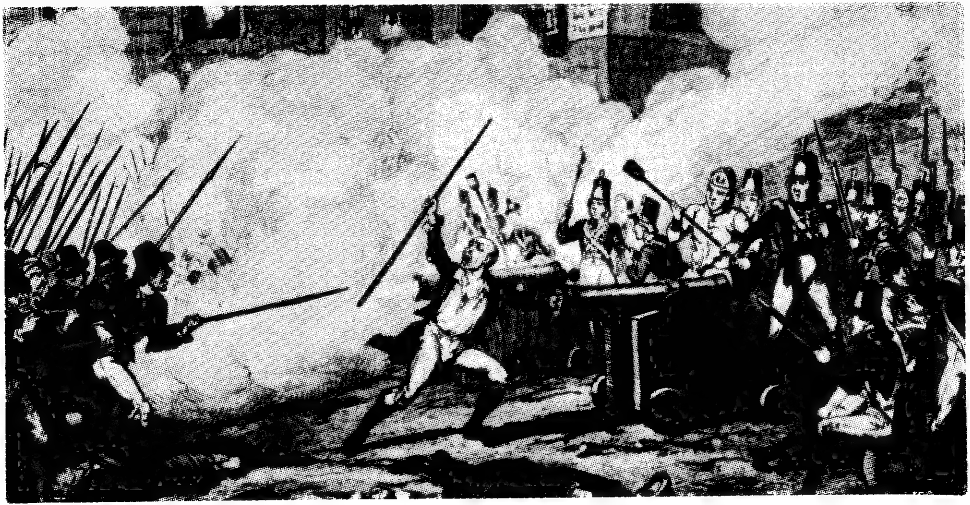

«تقدموا يا شباب. المدفع يقف ولا يرمي تقدموا يا شباب!».

وفي لحظة نسفته قذيفة ثورة 1798.

هارفي تعزيزات احتياطية، بل فقد كل اتصال مع القوات وأصبحت الحرب مبادرات فردية.. بعد أن حصدت المدافع قياداتها.

ولسبب ما لم تستعمل المدافع التي استولى عليها الثوار في معارك سابقة وهي مدافع قذّافة، والبنادق الدوارة (مجموعة من سبطانات البنادق بمخزن واحد في شكل رشاش) وحتى المدافع الأربعة التي غنموها في الصباح لم تطلق سوى قذيفتين ضاعتا عالياً..

كانوا يهاجمون المدافع رأساً.. وهنا سجلت تلك الحادثة الأسطورية.. إذ أسرع مقاتل عجوز يحمل رمحاً، حشر رأسه الحليق في فوهة المدفع «12 رطلاً» ونادى البقية «المدفع يقف ولا يرمى.. تقدموا يا شباب!».

وفي لحظة، فجرته قذيفة من ذلك المدفع الى عُصافة.

ورمي بآلاف الجثث الى النهر فحملها الى البحر الايرلندي..

واستمرت قوات الحكومة تسترد المدن. وعلقت إحدى

الصحف الانجليزية :

« إنها سابقة في تاريخ هذا القرن أن يقوم شعب بكامله بالحرب بهذه التضحية. كان جيش الثوار مؤلفاً من سكان ويكسفورد ، كلدير ، ويكلو ، وأوكلانـد .. وانتشرت جثـث الثوار على الطرقات ، وقنـوات الأنهار ، قـابضـة على الرمـاح المبقعة بالدم ومن بينها جثث مقاتلات شابات .. وقد ارتدين لباس الثورة الأخضر المخضّب بالنزيف.

وجاء أطباء جراحون يقطعـون رؤوس الثـوار لتعلـق في العاصمة ومعها كلمات تشف: « قطع رأس هذا الخائن بمشيئة صاحب الجلالة الملك » .. خلال ثلاثة أشهـر مـات أكثر مـن خمسين ألف شخص (50،000) وفقدت جيوش الملك ما يزيد على العشريـن ألـف قتيـل (20,000) حسـب الاحصـائيـات البريطانية وهي متعددة ، ومتضاربة[9] . ومات عـدد منهـم في

(9) يقدّر المؤرخ البريطاني المعاصر . إ. جي. ب. تيلور عدد الذين شاركوا في الثورة بمئات الألوف. والعدد الموجود أعلاه من إفادة « روبرت مادن » في كتابه عن الايرلنديين المتحدين الصادر في دبلن (سنـة 1857) .

سجون بعيدة في جزر مخصصة للمجرمين الخطرين.

ولم تكن الحملة الفرنسية الجديدة بأفضل من سابقتها، فالسفن التي لم تغرقها العاصفة.. دمرت من قبل أمير البحر « البريطاني » دنكان. ووقعت السفينة التي بها « ولف تون » في الأسر. وهكذا تحول النصر الى غبار..

وكان نابليون قد اتجه الى مصر، وصرف النظر عن تحرير ايرلندا. وان وصلت سفن تحمل طلائع انتحارية من ألف ضابط وجندي. التف حولهم آلاف من الايرلنديين، ورغم تحقيق الانتصارات التي سجلت « أكثر الهزائم المشينة في التاريخ الحربي البريطاني » إذ كان الجيش الملكي، يفر في أكبر سباق عسكري الى الوراء وعرف « بسباق كاسلبار »، إلا أن الحملة استسلمت فيما بعد؛ فلم تصل النجدات التي وُعدت بها..

وانصرف نابليون عن الحروب التحريرية الى الحروب الاستعمارية..

وفشلت محاولة « روبرت إيميت » في السيطرة على العاصمة سنة 1803، رغم أنها مزودة بصاروخ اخترع لتفجير القلعة..

وتم اعدام إيميت شنقاً وقطع جسده أربعة أجزاء..

وفرضت بريطانيا على ايرلندا اتحاداً بالإكراه - لأكثر من مائة عام - أصيبت فيه بنكبات المجاعة، والاخفاقات الثورية..

— 2 —

سنوات المجاعة
سنوات التحريض..

ما حدث في ايرلندا عام 1845 ، والسنوات التالية ، كانت أسوأ ما حدث لشعب : المجاعة.

أصيبت البطاطا بآفة زراعية.. وكانت هي غـذاء الشعـب الرئيسي.

فالفلاح الايرلنـدي « لاَحِـق بملكيـة الأرض » والارض للاقطاعيين. يؤجرونها للفلاحين... وكانت بقية المحاصيل من قمح وشوفان تدفع لمالك الأرض.

سنة بعد سنة ، كان الناس يموتون جوعاً.. في الوقت الذي كان فيه القمح والشوفان يصدران لبريطانيا.

ولكن، هل كانت بريطانيا حقاً مهتمة بمصير الايرلنديين التعساء ؟.. كما فعلت بلجيكا التي أصيبت بمجاعة مماثلة.. إذ أوقف تصدير القمح والدقيق.

ولكن ايرلندا هي البلد الأوروبي الوحيد الواقع تحت سيطرة الاستعمار. « في ذلك الوقت ».

وكما قالت صحيفة « الأمة » الصادرة في دبلن:

« ليس لدينا حكومة محلية، ولا من يقرر اجراءات فورية لانقاذ البلاد من الكارثة..

وهكذا تصير الأمور، ما دامت هذه الجزيرة مزرعة للأجانب.. »[10].

وعن الموقف الاستعماري الشامت قالت الصحيفة: « إنها (أي بريطانيا) مثل طبيب يراقب تنفيذ الجلد حتى الموت في انسان بائس ».

وقال الزعيم الايرلندي والمحرض البرلماني « أوكينل »:

---

(10) The Nation, 23, 1845.

« بريطانيا لا تسمع، ولا تفكر في التوقف عن استيراد قمحنا، أو تسمح بتصدير القمح الأجنبي الى ايرلندا..

طالبنا برهن غاباتنا مقابل مليون ونصف المليون من الجنيهات.. وبريطانيا لا تسمع.. فهي مشغولة بتوسيع ميدان الطرف الأغر « في لندن » وتجميل قلعة وندسور ».

وقررت مداولات مجلس العموم البريطاني بعد أخذ ورد:

« إطعام ملايين الايرلنديين مسألة تخص ملاّك الأرض والقساوسة » (!)

ولكن المعادلة الاستعمارية قاعدة ثابتة لا تتغير:

... بريطانيا تستورد الغذاء...

... وايرلندا تصدر الغذاء...

وايرلندا تحت الحكم البريطاني.. « إنه التجويع وليست المجاعة وهكذا فرضوا علينا الهجرة الى أميركا »[11]...

---

(11) Bernard Shaw. Man and Superman. p. 150.

وهكذا فهذه الأزمة نُظر اليها مثل غيرها.. من وجهة النظر البريطانية القائلة:

« ليس هذا خطأ بريطانيا.. انه قانون الطبيعة». ولم يع قادة الرأي الايرلندي أنفسهم خطورة الموقف.

ونشرت صحيفة «الأمة» الصادرة في 18 أبريل من ذلك العام (1848) تصريحات أوكنيل:

« لا يمكن لأحد أن يتهم بأن الخطأ هو خطأ الشعب الايرلندي إذ نزلت عليه محنة المجاعة. ولكن هناك اناساً يحاولون نفي وجود مجاعة».. (يقصد مجلس العموم البريطاني).

وبعد أسبوع من ذلك نشرت جريدة «الأمة» هذه العناوين والأخبار:

« وقعت حالة عصيان في تيباريري.. كلومويل في حالة حصار. أشرعت الحكومة حرابها - وانتزع الغذاء من الناس.

انتشر فوق قمم الجبال آلاف الرجال الأقوياء الذين أثارهم الجوع..

ونهبت مطاحن الغلال، ومخازن الحبوب.. ويجري احصاء موتى المجاعة في مدن: كورك، ويكلو، وجالوى، وليميريك.

وصممت عائلات في كافن على الموت جوعاً.. بدلاً من مذلة التسول.

آلاف.. وآلاف يصابون بالتيفوس أو ما هو أسوأ..

.. انحشر المرضى في المستشفيات يستغيثون من حمى الجوع».

ويمضي مقال الصحيفة عاكساً الحالة البائسة، ومهاجماً رئيس الوزراء البريطاني «روبيرت بيل» الذي لم يفعل شيئاً رغم مرور ستة أشهر على الكارثة.

وتتساءل جريدة الأمة:

«هل هدف حكومة الاحتلال.. هو ازالتنا من الوجود.. بارسال المزيد من الجنود والشرطة لطرد المزارعين الذين عجزوا

عن دفع ايجار الاراضي للملاك؟

ويستمر الجوع والموت. في الوقت الذي تسير فيه قوافل القمح الايـرلنـدي بحراسـة جيش الاحتلال في طـريقهـا الى بريطانيا». وتستمر الصحيفة بلهجة فزع فـ «ليس الجوع هو الذي يثير، وإنما الوعي به وبأسبابه».

«إنه الجنون.. انه العمى.. هل هنـاك مـن يسمـع؟ مـن يتحرك؟ من يفعل شيئاً؟»؛

وسجل الكاتب جون ميشيـل في صحيفـة «الأمـة» عـن رحلته الى جالوي: «لم نشاهد دخاناً يرتفع من البيوت.. هواء المكان مثقل بأنفاس الجحيم. انه أشد وقعاً من رائحة الموت في ميدان قتال.

يا للشقاء، نسيت أن هذا هو عام المجاعة!

وها نحن في منطقة الموت الذي خيم على جزيرتنا.

وهنا، لا داعي للتحقيق في أسباب الموت.. فتاريخ مجتمعنا الصغير يمتد أمامنا. لا داعي للكلمات.. فالوجع وصل القلب. والمكان سكنته هياكل عظمية، ورعب صامـت، والأعشـاب

الزاحفة على الأبواب؛ نخشى أن ننظر عبرها رغم انها مُشرعة على مصراعيها.. فهناك ركـام هيـاكـل مصفـرة.. وتنطلـق الكلاب تجري، وتعـوي.. ومـن نظـرات عيـونها التي تشبـه نظرات الذئاب، نفهم كيف عاشَت بعد أن مات أصحابها! ها هو بيت صغير استضافني قبل عـامين، وأنـادي: ليبـاركـكـم الرّب... أين أنتم؟.

ولا جواب.. بل صمت مروِّع. لقد قضوا جميعاً.. الشاب القوي، وزوجته سوداء العينين، والصغار».

وملأ «جون أوكنيل» المحرض البرلماني الصحف، ومجلس العموم بالتصريحات:

«ايرلندا تنتج ما قيمته 15 مليوناً من الأغذية، تستهلك في بلدان أجنبية».

«لن نسمح بتصدير شيء قبل أن يقتات الشعب».

ورغم ذلك تستمر قوافل القمـح الايـرلنـدي تسير تحت حراسة الجيش الى موانىء التصدير.

وخلال سنوات المجاعة صُدِّر مـن ايـرلنـدا مـن المواشي

والبيض ما يكفي حاجة السكان.

واستمرت قوافل القمح الايرلندي تـأخـذ طـريقهـا إلى بريطانيا تحت حراسة الجيش والشرطة.. رغم أن ربع الشعب قد مات ولم يسمح باستيراد شيء [12].

وكل الخطوات التي اتخذت تزيد من هول الكارثة وتسير في ثلاثة اتجاهات:

1 ـ استمرار المجاعة.

2 ـ افراغ ايرلندا بواسطة التهجير الى اميركا.

3 ـ وهذا كله سيؤدي بالتالي إلى الغرض الرئيسي؛ الشعب السلتي مَحْق الجنس الايرلندي.

وقال رئيس المحافظين الايرلنديين:

« أليست ايرلندا ضمن اتحاد مع بريطانيا. اذن هل هناك

---

(12) الملكة فيكتوريا، أو ملكة المجاعة كما يسمونها في ايرلندا؛ ارسلت بما يتراوح بين خمسة أو عشرة شلنات (أقل من نصف دينار ليبي) لإنقاذ ايرلندا من المجاعة!

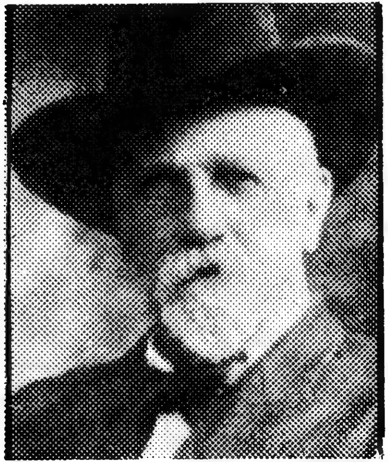

اودافن روسا

من البرلمان والأدب . .

إلى المعتقل والمنفى .

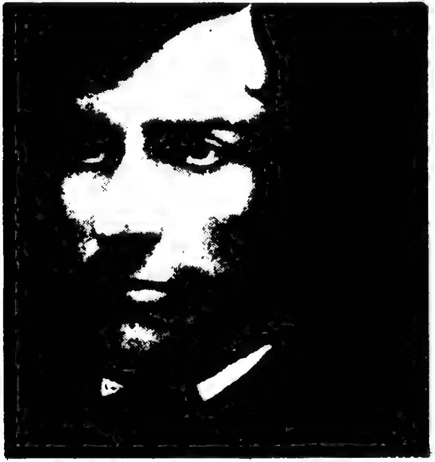

جون ميتشيل

كتاباته أزعجت التاج البريطاني

نفي الى جزيرة للمجرمين الخطرين .

دولة متحضرة تترك رعاياها يموتون بالجوع على هذا النحو ؟ » .

وسجل أحد رجال الدين وهو القس أوريروك في كتابه « تاريخ المجاعة الكبيرة في إيرلندا » كيف كان الناس يموتون على الطرقات: « من كان يملك ثمن تذكرة للهجرة سافر الى أميركا، ومن كان لا يملك بقي ليموت » .

وجاء في مقال للكاتب جون ميتشيل:

« بريطانيا مسؤولة أمام الله.. فوجودنا القــومــي كشعــب وأمة في خطر » . وكتب أيضاً:

« راقبت عن كثب سياسة الحكومة البريطانيّة، فلم أجد إلا سياسة افناء متعمدة مختصرها اخضاع الجزيرة نهائياً بإهلاك الحرث والنسل.. ولهذا لم يتبق لدينا ما نعطيه، وما نأخذ به إلا الثورة »[13].. وقال الفيلسوف البريطاني « توماس كــارليــل » الذي عــاصر تلــك الفترة في كتــابــه « الوثيقيـــة » الصــــادر عام 1840 م.

---

(13) Mitchel, John. The Last Conquest Dublin . 1861.

« إننا سبب محن ايرلندا وأساها.. لعصور طويلة عاملنا تلك الجزيرة بظلم وجبروت..

ويوم تَطَفّلنا على ايرلندا هو يوم من أيام الأبالسة.

كنا نسير وفق سياسة واحدة هدفها اقتلاع شعب من أرضه.. طوال خمسة قرون من المعاملة القاسية.

وها هي ايرلندا تحترق وسط حقول الخراب السوداء.. فالظلم لم يلحق باقتصادها فقط، بل وتوغل الى قلبها وروحها ».

وفعل الايرلنديون ما يستطيعون لمساعدة أنفسهم.. وتقاسموا الوجبة الواحدة والأخيرة.

وكان من يتزعم الرأي - من المدن وليس من الريف - بعيدا عن الاتصال اليومي بالمناطق المنكوبة، وليس في إمكان القساوسة أن يعملوا خارج حدود إمكانياتهم.. فجاعوا مع الشعب وماتوا..

وحطمت المجاعة الروح المعنوية للناس، وحجبت التطلعات الثورية، وأماتت روح المقاومة.

وسجل القس أوريروك مـؤرخ سنـوات المجـاعـة عـدد الضحايا خلال ست سنـوات فقـط مـن 1846 ـ 1851 فبلـغ (1، 240، 000) نسمة ـ أي ما يقارب المليـون وربـع المليـون وهاجر ما يزيد على المليون الى أميركا..

والذين هاجروا الى أماكن أخرى (300، 000) نسمة أي ثلث المليون..

وتسببت المجاعة في وقت لاحق في موت: (1، 250، 000) نسمة.

وبلغ عدد المهاجريـن (معظمهـم الى أميركـا والبقيـة الى استراليا) أربعة ملايين[14]. وكانت هذه المجاعة المصطنعة ـ أحد أسباب انتفاضة عام 1848.

---

(14) Laker Lampson, Summarizing the reports of the Emmigration Commissioners in a consideration of the state of Ireland in the nineteenth century 1907. p. 216 P. S. O. hegarty, A history of Ireland under the union. Methuen & co London 1952. p. 329.

- 3 -

المنافي أو الموت

أفضل إحسان تقدمه لنا بريطانيا هو:

أن ترفع يدها عن جيوبنا

واليد الأخرى عن رقابنا

«جون ميتشيل 1848 م»

لم يعد الساسة في بريطانيا يقلقهم ارتفاع عدد السكان في ايرلندا، أو «فائض السكان» على حد تعبيرهم.

استمرت المجاعة لسنوات.. قليلة.. ولكن تأثيرها كان مهلكاً.. وما حدث هو الذي أوجد المرارة في المشاعر سنة 1848.. وتلك سنة قضت على العظم..

رمت بالايرلنديين الى المنافي أو الى الموت. وهنا ظهر جيل

جديد يتوارث الثورة.. من معدن قومية لها أبعاد عميقة بلا قرار.

ورغم ظهور العديد من التجمعات الوطنية تحت أسماء عديدة.. لكنهم لم يجدوا زعيماً حقيقياً أو قيادة، إلا من خلال الوجوه البرلمانية.. وهذه الوجوه لم تكن ثورية بالطبع مثال: س. اوبراين. واوكينيل..

أوبراين كان بلا حرارة.. وأوكينيل استمر عقوداً طويلة محرضاً برلمانياً.. ايرلندياً في برلمان بريطاني..

منذ ان غاب الصوت الايرلندي وسط زحام « الويستمنستر ». إثر إقفال البرلمان الوطني، وترحيله ليذوب في مجلس العموم بعد ثورة 1798، وكان ذلك هو زمن ظهور جون ميتشيل الذي لا يستطيع أي قارىء للحركة الجمهورية الثورية في ايرلندا، أن يمر سريعاً دون أن يستوقفه هذا الكاتب « التنويري » الثائر، والشاعر الصداح بالألم الذي انتخبه الشعب الايرلندي ليمثله عن دائرة تيبايري وكورك في البرلمان البريطاني [15].

(15) Election Interventions Iris, (Dublin), Sin. Fein — V. 1, No. 2 (November 1981), p. 86.

واعتقل جون ميتشيل.. لكنه استمر من سجنه يكتب. وفي خطاب مفتوح لنائب الملك في ايرلندا كتُب بمناسبة مرور نصف قرن على ثورة 1798.

« مر نصف قرن بالضبط على الحرب المقدسة (ثورة 1798) الاخيرة التي اضطرمت في ايرلندا لتكنس جيداً عن جزيرتنا اسم بريطانيا.

ان انتفاضة 1798 مقدسة، ومقدسة حياة الفلاح عندنا، كما تقدسون انتم حياة لورد. قوانينكم (كما تسمونها) هي قوانين عبودية مضللة. الانسان عندكم يولد عبداً، ويموت عبداً. أما عندنا، فمن حقه ان يحمل السلاح ويتدرب عليه. ولا خير يرجى من برلمانكم».

اعتبر هذا المقال ـ الخطاب المفتوح ـ في البرلمان البريطاني دعوة «الشعب الى العصيان» وجاء في خطاب اللورد ستانلي في مجلس اللوردات في 24 فبراير 1848 قوله:

« هذه دعوة مفتوحة الى الثورة. وهي ليست دعوة لشعب متفتح العقل ورصين الفكر كالشعب الانجليزي ولكنها موجهة

الى شعب طائش شديد الاهتياج ومتحمس (...) وستدفع بالشعب الى الثورة. ومثال هذا الرجل جون ميتشيل رجل يملك قلباً ثائراً ولا يمكن شراؤه، ومن على شاكلته من الثوريين لا يمكن اغراؤهم بشيء.

ان استمرار صحيفة الايرلندي ستقود الى الثورة. انها تباع بأسعار خيالية في السوق».

يقول عنه المؤرخ الايرلندي س. ب. اوهاغرتي: «جون ميتشيل ولد كاتباً عبقرياً شجاعاً.. برأي مستقل.. يملك تحفز كارليل للحقيقة، ومقت كانت وسويفت للظلم.. ولا تعرف وطنيته أسلوباً اعتذارياً. أثّر ولا زال يؤثر حتى اليوم.. ليس لموهبته الأدبية بل لصواب مبادئه السياسية، وعاطفته الوطنية المتأججة التي لا تعرف النكوص لذا كان نفيرا الى ميدان المعركة».

كان يوجه نداءات حارة الى الفلاحين البروتستانت في الشمال.

واتخذ من عائلة فقيرة صغيرة ماتت من البرد والمجاعة رغم

أنها كانت تملك عشرين فداناً من حقول القمح بيت قصيد لكتاباته.

وتحول «بولند» الفلاح الى رمز. كتب في مقال «ماذا حدث لارض بولند؟».

«لتمون الحرب ضد شعب جنوب افريقيا. صودرت أرض بولند. وبيعت في المزاد. جزء ذهب الى جبل طارق لمؤازرة الثكنة.. وجزء الى اسبانيا لنبيذ السيد الاقطاعي، وجزء الى افريقيا لمساندة جيش اللصوص في الحرب.. والبقية تقاسمها اليهود.. وهكذا لم يتبق شيء لبولند فمات».

ويستمر من سجنه يكتب:

أقفلت الصحيفة (صحيفته). وحكم عليه بجريمة الخيانة للتاج.. والسجن أربعة عشر عاماً.. وضع في القيد، وحملته سفينة حربية جاهزة أقلته الى مستعمرة للمجرمين الخطرين ليقضي العقوبة.

لقد وضّح جون ميتشيل الطريق جيداً لمواطنيه، ولم يغب

عن ضميرهم ابداً.. ولم يكن من الواضح ماذا يمكن أن يقدمه جون ميشيل أكثر..

كان وحيداً بلسانه وقلمه. ومشى وحيداً الى المنفى(*).

وجاءت رياح ثورية جديدة من فرنسا.. وهنا أعلنت الكنفدرالية الايرلندية: ان البلاد ستكون حرة قبل «أن يدخل الصيف» وأعلنت نبذ الخلافات.. وأكدت صحيفة «الأمة»: «حانت فرصة ايرلندا للخلاص». وجابت فرق الحركة الريف منادية بالتسلح.

وجاءت الانتفاضة: هجومات متفرقة غير منظمة، ومناوشات هنا، وهناك..

مواجهة بين رجال الشرطة المسلحين بالبنادق، والناس - نصفهم مسلح بالرماح -.

تفرق القادة... وفي خلال ايام اعتقلوا. بعضهم حكم عليه

(*) لكي يكتمل الاقتراب من تاريخ تلك الفترة القاسية كان لا بد من الحديث عن هذا الكاتب المزمجر، أو «الكائن الأدبي الممتلىء ثورة» كما يسميه برنارد شو.

بالموت. والبعض الآخر بالسجن المؤبد..

وهاجر جنود وضباط الانتفاضة الى أميركا واستراليا.

كانت محاولة مُضعضعة من بدايتها، وسخرت أقلام مخربشي الحكومة في صحف لندن ووصفوها: بـ «انتفاضة في حديقة الكرنب».

يقول المؤرخ أو هاجرتي:

«الذي قتل تلك الانتفاضة ليس القساوسة، ولا المجاعة، ولا الحكومة، بل غياب خطة إعداد وتنظيم، ولكن الايرلنديين أعطوا ما بوسعهم، كما هو شأن الأجيال الايرلندية كلها... فشلوا ولم يتراجعوا. انتهى القادة الى السجون والمنافي.. والبقية بين مطاردين أو معزولين.. ولكن القضية التي دافعوا عنها وناصروها.. تلك القضية هي في مكان مصون.

كانت حركة 48، نوعاً من الحقد المقدس، أمسك بنفوس قلة من الايرلنديين في تلك الفترة. ولم يعد بامكانهم تحمل المزيد من القهر والمجاعة».

ويقول أحد القادة:

« حقيقة، كانت تلك الحركة، حركة نجمت عن اليأس. لكن تذكر، أن الناس كانوا يموتون بمعدل ثلاثين ألف انسان شهرياً موتاً أكثر شناعة من الموت بشظية او رصاصة.

فالاضطهاد يؤدي بالرجل العاقل الى الجنون. وكان الاضطهاد وقتها قوياً، ولم يتح فرصة للمراجعة »..

— 4 —

الثقافة المطاردة..

يقول الرحالة الالماني.. آخول، في كتابه «رحلات في ايرلندا، في منتصف القرن التاسع عشر»: «هناك فقراء في المانيا.. ولكن حالة الشعب الايرلندي على العكس.. انها حالة شحاذين أو شعب يتسول.

ان الايرلنديين قوم أذكياء محبون للحرية، وأراضيهم معطاءة، وهم يموتون فوقها جوعاً.. أو يكدحون حتى الموت من الإجهاد والمرض في ظل قوانين مشوهة. وأمام أعينهم يعيش مالك الأرض الانجليزي في أبهى الصور».

قبل ذلك كانت الصورة تختلف.. «كان شعباً اجتماعياً مرحاً وبشوشاً ـ عندهم أغانيهم ورقصاتهم والعابهم الرياضية».

لقد أثرت المجاعة، وقوانين البغى كثيراً.

وفي ظل القانون الاستعماري، ـ كما فسره احد القضاة ـ فإن الايرلندي الكاثوليكي لا وجود له « وقد سبب الاحتلال الانجليزي خلال العشرين سنة في القرن الثامن عشر وحده ما لا يقل عن أربع مجاعات اجتاحت عدداً عظيماً من أهل البلاد ». حُرّم، وبقانون على الكاثوليك إدارة مدرسة على أي نمط من التعليم.. وعلى هذا الاساس كان التعليم الذي يتلقاه الناس سرياً، مختلساً، وبدائياً، تحت سقيفة كوخ أو سياج أو هري..

ولهذا، عرفت تلك المدارس باسم مدارس السياج السرية.. أو مدارس الاهراء..

وبقانون استعماري صدر سنة 1793 سمح جزئياً بانشاء مدارس ابتدائية سنة 1803. فأنشأ الأهالي مدارس صغيرة، أما المدارس الحكومية (البروتستانية) فأهدافها تبشيرية، لتحويل الاطفال عن معتقدهم الكاثوليكي.

وكان بعض الأهالي يرسلون بأطفالهم الى المدارس الأوروبية، غير أن ذلك منع بقانون..

ولم يطـــرأ أي تغيير، حتى انتهـــاء الاتحاد الاستعماري عام 1922 . اثر الحرب الايرلندية البريطانية.

وكـــل الكتـــب التي تـــدرس، هـــي لمؤلفين انجليـــز وبروتستانت.. كتب تبعد الطلاب عن واقعهم الايـرلنـدي، وتُغيّبهم عن تاريخهم الديني والقومي.. بل تدفعهم الى التفكير بأنهم جزء من بريطانيا.

وكان مجلس التعليم الوطني في أغلبيته من البروتستانت، رغم أن 85% من السكان كانوا من الكاثوليك..

وكان مجلس التعليم سلاحاً ضد الشعب الكاثوليكي.. إذ من المقررات أن يحفظ الطفل مقطوعة معينة.. «اللهم احفظني طفلاً بريطانياً سعيداً».

أو هذا المقطع:

«في شرق ايرلندا تقع بريطانيا حيث تعيش الملكة. وفي انجلترا ولد الكثيرون مـن الذيـن يعيشـون في ايـرلنـدا ونحن نتحدث نفس اللغة، وننتمي الى نفس الأمة».

وأسقطت من حساب التعليم اللغة الايرلندية. يقول تقرير لمفتش لغوي:

« آمل مع الزمن أن يأتي وقت يكون فيه الايرلندي انساناً مهذباً يجهل اللغة الايرلندية »..

ويقول تقرير لمفتش آخر:

الجهلة يتحدثون لغتهم الايرلندية بمراعاة شديدة لقواعد النحو.. فيما كانوا يقولون لي بلغة انجليزية سليمة أنهم لا يفهمون اللغة الانجليزية ».

... « إن اللغة الانجليزية تكتسب مواقع كل يوم، غير ان اللغة الغيلية ستبقى حية في الاماكن المنعزلة والجزر ».

« وكان القساوسة يعظون باللغة الايرلندية كي يفهمهم الناس ».

ومع الحملة الاستعمارية الثقافية، توقف نمو اللغة الايرلندية، وبقيت مفرداتها تحمل قسمات عصور الظلام. ولم ينتج أدب متفوق بها..

والذين يتحدثونها كانوا محرومين حتى من الغذاء ـ رغم المقولة المضللة في التعريف الأدبي ـ فالابداع لا يأتي من جوع.

ولم يطبع بها شيء، وتقلصت على نفسها. وحتى الحركة الوطنية الحديثة عندما ظهرت في منتصف القرن الثامن عشر عُبر عنها في ظل الحكم العسكري بالانجليزية..

وسادت لغة المحتل في كل شيء: القانون، والمحاكم، والوظائف العامة.. وكثيراً ما سيق متهم ايرلندي بريء الى السجون لأنه لا يفهم ما يقوله القاضي من تهم..

لذا كان الآباء مضطرين لتعليم أولادهم هذه اللغة الوافدة كي يجدوا عملاً..

والكنيسة كان لها ما يشغلها، ولم تفهم ما يميز الأمة. وهكذا كانت هذه «الأمة» الايرلندية الخفية. هكذا ظهرت، ولكن بلسان انجليزي.

إعادة اكتشاف اللغة القومية

يقول أحد كبار رجال الدين:

« انها حقيقة مرة لما في جوانب حياتنا من مشايعة لانجلترا.. نحن نستورد منها يومياً الازياء، والالعاب والموسيقى، والبدع. وأصبحنا ننظر من وجهة نظرها هي، وقد خنقت لغتنا وصناعاتنا. ان هذا الوضع خطير ».

منذ القرن السابع عشر كانت اللغة الايرلندية قد ذهبت تحت الارض مع الشعب الايرلندي. وطوال القرن الثامن عشر بقيا تحت الأرض يحاربان من أجل الظهور.

وخلال ذلك، سادت اللغة الانجليزية، وأصبحت اللغة القومية لغة سرية. وفي غضون نصف قرن أمست اللغة الانجليزية لغة لايرلندا.

ولكن الانجليزية ـ التي كانت لغة الحركة الوطنية ـ أخضعت للعقل الايرلندي، وللمصطلح الايرلندي.. انها نفس اللغة، ولكن على لسان ـ ومن عقل ـ رجل ايرلندي، وتختلف الى حد ما: انها طريقة التفكير الايرلندي والغرابة الايرلندية.

انها طراز عقل مختلف وطبيعة مختلفة تعبر بهذه اللغة، نوع مختلف من الناس يحاولون أن يَجِدُّوا في التعبير بها. ولكن من وراء اللغة الانجليزية في ايرلندا واستعمالاتها بحكم الحاجة والاضطرار.. الشعب السلتي واللغة الغيلية، وتقاليد سلتية عريقة. ومع ازدياد التسلط والقهر.. ازداد وعيهم بقوميتهم وما يميز وجودهم.. ولكن اللغة الايرلندية تراجعت وتقهقرت، كامنة محجبة ـ ولكنها غير منسية.

وعبر قرن من النكبات السياسية، وازدياد الطغيان والمجاعة، ومنذ أن بدأت الامة الخفية تضغط للخروج على السطح، بدأت اللغة الايرلندية تُسمع من جديد.

وأسس كرسي للغة الايرلندية في جامعة دبلن سنة 1791 وبدأت تظهر بها قصائد شعرية. وتأسست الجمعيات الايرلندية

المهتمة بالآداب الايرلندية.

ولكن التعبير السياسي كان باللغة الانجليزية. واستلم اللغة اساتذة وطنيون مثقفون، وتسلمتها المنظمات الثقافية، ومنذ ذلك الوقت بدأت تتجذر (16). وقدمت صحيفة «الأمة» دروساً في اللغة الايرلندية. ولم تكن تلك الجهود علمية أو أثرية.. بل مرتبطة بالحركة الوطنية النضالية كلغة منطوقة، واهتم بحركات الاستشفاه. ومن بين الذين قدموا للغة ولاء وجهداً «أودافن روسا».

وشُجع على كتابة الادب الحديث بها، وترجمة الاعمال التراثية عنها.

وأكثر الاساتذة مساهمة في هذا المجال دوغلاس هايد والقس ايجوين أوجراني وجون ماكينيل. وتأسست الجمعية الايرلندية سنة 1876 للاهتمام باللغة وآدابها.

---

(16) شرّعت في ايرلندا منذ سنوات قوانين تلزم باجادة اللغة القومية، وأصبح لزاماً على المحامين وغيرهم العودة الى المدارس وتعلمها واتقانها كشرط لمواصلة وظائفهم.

وقد لاحظ دوغلاس هايد أن ايرلندا بدأت « تتنكلز » شكلاً وموضوعاً بعد أن كانت ايرلندا مدرسة أوروبا، ومركز العلم في القرن السابع.

وجاءت مرحلة اليقظة الثقافية، وهي مرحلة الأدب الانتقالي ـ من اللغة الايرلندية الى اللغة الانجليزية ـ مثل كتابات « توماس مور » أول من كتب وأجاد باللغة الانجليزية في مؤلفاته:

لا تلوموا الشعراء، أوشا الاسير، وشاعر الزمن. كذلك جوناثن سويفت في رحلات جلفر.. وفي كتاباته السياسية المعارضة للاحتلال.. وتدفق الشعر والوطنية من نبع أرضي واحد.

وكتب بها ميشل بانم، وجيرالد جريفت، ووليام كاريلتون رواياتهم.

من ظلمة وجبروت قانون الجزاءات كان التعبير الادبي يخرج بلغة اجنبية.

فصمويل لافر، وشارلز لافر، يعكسان الحياة الايرلندية

في شخصيات زمنها. وجاء الادباء الشبان بكتابات تحمل الفخر والكبرياء القومي.

فكتبوا الأغاني والقصائد التي تسجل التاريخ والعادات - كانوا ممنوعين من صياغة القوانين فاتجهوا الى صياغة الابداع الادبي - ونجحوا في اذكاء الوعي القومي..

جون ميتشيل، في النثر وشارلس كيشهام، كتبا باللغتين أدباً ثورياً، ووليام كارلتون في حكاياته عن المجاعة.. وأوليفر جولد سميث في قس ويكفلد (1766) التي ترجمت الى العربية. وتوماس ديفيز، وجوناثان سويفت، ودنيس فلورنيس، وجيمس ماقنوم وكانوا من الشعراء والكتاب الوطنيين[17]...

---

(17) يجد القارىء في نهاية الفصل السادس قصيدة و. ب. ييتس عن «ثورة عيد الفصح عام 1916». التي قادها عدد من زملائه الشعراء والأدباء في الحركة الأدبية الايرلندية. ولقد هزته هذه الثورة من أعماقه وكانت ذات أثر بعيد في حياة ييتس وبمثابة نقطة تحول في موقفه الوطني وتعتبر من أعظم القصائد السياسية في تاريخ الشعر الانجليزي. والقصائد التي تناول في موضوعها ثورة عيد الفصح هي: «ستة عشر شهيداً، وشجرة الورد، وسجينة سياسية» أنظر د. سهيل بشروئي، وليم بطلريتيس، عالم الفكر، المجلد الرابع، الكويت 1963.

وجاءت فترة كان معروفاً في العـالم تـومـاس مـور ، و . ب . ييتس ، جورج برنارد شـو ، جـورج رسـل ، ج . م . سنـج ، جيمس جـويس ، جيمس استيفـانـز ، شـون اوكيسى ، اثنـا جاربي ، أليس ميلجان ووليم كارلتون(★) ..

وكانت هذه الاسماء تكتب بفخر وطني كتابات ايرلندية معبراً عنها بلغة انجليزية إلا أنها تحمل جواً ايرلندياً .

والقائمة تمتد طويلة : وليم فلاهرتي ، باتريك كافنا ، أوسكار وايلد ، فرانك أوكنور ، صمويل بيكت ، بـرانـديـن بيهـن ، فرنسيس ستيوارت . ومن الذين كتبوا بـ « الغيلك » : بادريك اوكنور . بادريك بيرس . براين ميرمـان ، كـانتـون اوليري . وليام اليفتهام .

وكثيراً ما صوروا ايرلندا « على أنها كاثلين ني هوليهن التي تحمل القيثار وتتجول في الروابي الخضر » عندما كان الحديث

(★) أغلب الكتاب والشعراء من المذكورين في هذا الفصل ـ نُقِلَتْ أعمالهم إلى لغتنا العربية .

عن ايرلندا ممنوعاً. وينظر للشعراء في ايرلندا باحترام كبير منذ بداية التاريخ السلتي. وكانوا في عهد الملوك العظام في درجة القدسية لقيامهم بـدور التحـريـض وقيـادة الحركـات الوطنية.

كان دورهم عظيماً.. عملوا طـوال الوقـت على الا تفقـد ايرلندا ذاكرتها القومية، ونجحوا.

— 5 —

الكنيسة والحركة الفينية

« الشعب الايرلندي في تاريخه لم يكن مدفوعاً للثورة بعوامل مادية من أي نوع ».

« جافن دافي »

الكنيسة في ايرلندا مذاهب عدة وإن كانت من أصل واحد . ومنذ قدوم القديس بطرس في القرن الخامس الميلادي ، ومذهب الرومان الكاثوليك ، هو دين غالبية الشعب . وكنيسة البروتستانت دخيلة ، ولها علاقة بالاستعمار في ايرلندا ـ رغم ان الخلاف هنا يغلب عليه العامل الاجتماعي والسياسي . وان كانت له تأثيرات من الناحية الدينية ـ وقدم البروتستانت رجالاً ايرلنديين عظاماً مثال ولف تون ، وجون ميتشيل بارنيل . ساهموا في الحركات والانتفاضات الشعبية التي كانت بدايتها في بلفاست .. ولكن الاستعمار نجح في تصوير تلك الثورة على

أنها مؤامرة كاثوليكية لافناء البروتستانت. واستغل ساسة بريطانيا البروتستانت في لعبة السياسة.

والبروتستانت منذ القرن الخامس عشر (مجيء الاستعمار الى ايرلندا) ارتبطوا بالوجود البريطاني وهم «الشعب البريطاني» في ايرلندا. كما يسميهم راندولف تشرشل 1886 (والد تشرشل المعروف). وهذه الطائفة ـ الأقلية التي استوطنت أرضاً ايرلندية بالقوة وأصبح لها التأثير والنفوذ ـ استغلت هذا النفوذ لالحاق الضرر بالأمة الايرلندية. وبقاؤهم اقوياء يرتبط بالوجود البريطاني.. ولم يكن الكاثوليك الاغنياء بحكم انتماءاتهم الى جانب الشعب، بل كانوا يسمون بـ «كاثوليك السلطة». غير أن الكنيسة في ايرلندا هي كنيسة وطنية، ارتبطت بالوجدان القومي، وان كان ذلك محصوراً في القساوسة الصغار.

وفي القرن الثامن عشر كانت هذه الكنيسة والشعب من الخارجين على القانون وفق تشريع استعماري، ووضع ثمن لرأس كل قس، ولم يكن هناك مكان لتأدية الشعائر الدينية إلا في أماكن سرية.

وفي تلك الفترة كان القس قائد رعيته. وفي القرن الثامن عشر التقيا سياسياً.. وقد أيد رجال الدين الصغار الحركات التحررية كلها تقريباً[18].

فيما وقف رجال الدين الكبار «الاساقفة» موقفاً مضاداً.. مثال مطران «كورك» في حرب التحرير سنة **1919**.

ولعل أبرز المعارك القلمية تلك التي وقعت بين كتاب الحركة الوطنية «في صحيفة الامة» بعد حركة عام **1848** وبين الكاردينال دكتور كولين الذي عاش طوال حياته في روما. وكان يعتقد أن كل حركة وطنية هي في طبيعتها حمراء، ضد الفاتيكان وكان كاثوليكياً أكثر منه ايرلندياً.

وتلك مرحلة اضمحلال الروح الوطنية في كنيسة ايرلندا.

ووصف كل دعوة جريئة، أو تحرّرية بأنها من قبيل حركة «ماتزيني» المصلح الايطالي.

---

(18) ولا زالوا كذلك ضمن حركة الجيش الجمهوري الايرلندي. فكثيراً ما تصدر أحكام السجن على قساوسة يقومون بنشاط مؤيد للحركة في شمال ايرلندا وجنوبها.

وفشل حركة 1848 أدّى بالكنيسة الى فقدان الأمل في تغيير ثوري. وشرعت تبحث لايرلندا عن مكان تحت الشمس البريطانية. وكانت الحركة الوطنية الحديثة قد بدأت تتأسس مع جيمس ستيفانز، وجون اوماهوني، وجون ميتشيل، وشارلس كيتنهام، وأود أفن روسا، بانشاء «حركة الفينيان»[19].. والتي عرفت ايضاً فيما بعد «بالاخوان الجمهوريين الايرلنديين» وهدفها الاعداد للثورة، وفلسفتها الثورة وفي أسرع وقت..

ومنذ ذلك التاريخ (1858) سمع لأول مرة باسم الجيش الجمهوري الايرلندي[20]..

وانطلقت منظمة «الاخوان الجمهوريون الايرلنديون» أو «الاخوان الثوريون الايرلنديون»، كما تُعرف أيضاً منذ ذلك

---

(19) الاسم مشتق من قائد فرقة اسطورية محاربة هي: Finna وهو مقاتل اسطوري اسمه في الايرلندية (Flonn Mac Cumhail) كان يدافع عن ايرلندا القديمة ضد الغزاة.

(20) Election Intervention Op. Cit p. 86.

التاريخ، برأسمال (90 جنيهاً استرلينياً). وتأسست بهذا المبلغ إحدى الحركات الثورية الرئيسية في تاريخ ايرلندا. وإحدى أعرق الحركات الثورية في العالم «الجيش الجمهوري الايرلندي». تلك المنظمة التي حافظت على وعدها بالثورة فساهمت في حركة 1867، وثورة 1916، ونفذت وعدها سنة 1922، بعد أربعة وستين عاماً من العمل السري.

وكانت صحيفة الشعب الايرلندي هي واجهتها الأدبية والفكرية. كما اتخذت من التحرك العلني ايضاً مجالاً للعمل، فالمنظمة السرية على المدى الطويل، تحتاج الى واجهة علنية مثال تنظيم جمعيات ادبية لاحياء التراث والثقافة القومية.

وهاجمت الكنيسة الحركات السرية، وقام قس بالاتصال بالسلطة. وكان ذلك، سبب معركة طويلة بين الكنيسة والحركة الوطنية التي هاجمت تسلط رجال الدين السياسي. ونتيجة لتلك المعلومات قبض على مجموعات من الفينيان.

ولم تكن سلطات الاحتلال تعرف شيئاً سوى وجود تنظيم سري، ولم تثمر الاعتقالات شيئاً..

وفي عام 1861 احتفل بعودة جثمان ترنيس ماكمانوس أحد قادة حركة 1848 الذي مات في المنفى. وكانت تلك فرصة لأن تُظهر «الحركة الفينية» قوتها - فسار في جنازته خمسون الف متطوع فيني وانتظم مثل هذا العدد في شوارع العاصمة.. ورفض الكاردينال كولن.. تأدية الطقوس الدينية في جنازة المحارب القديم -.

وفي تلك السنة اندلعت الحرب الأهلية الاميركية[21] وانشأت صحيفة «الشعب الايرلندي» التي تعبّر عن الحركة الفينية، وتحمل قناعاتها بتحرير ايرلندا.. وكان من أبرز الكتاب فيها تشارلس كيشهام وجون أوليري. وقد تخصص كيشهام - وهو رفيق جون ميتشيل القديم - في الرد على حملة الكنيسة بتجريم النشاط الثوري..

---

(21) في الحرب الاهلية الامريكية.. كان غرض بعض الايرلنديين هو كسب الخبرة القتالية.. والعودة الى ايرلندا، وهذا ما حدث في انتفاضة عام 1867.. وقد انقسم الايرلنديون في الحرب الأمريكية. قاد توماس فرانسيس ميجهار فيلقاً شمالياً، وقاد باتريك شلبورن فيلقاً جنوبياً.. وكان الفوج التاسع والستون بقيادة العقيد مايكل كارسون من الفينيين.

كتب كيشهام:

« لا يجب ان نغمض عيوننا عن الحقيقة، فبعض المطارنة الكاثوليك صمموا على أن يلقو بثقلهم لمنع الشعب من استرجاع حريته ووطنه.. وعليه، لا يمكن انقاذ ايرلندا من الهلاك ما لم يوضع حد فاصل بين حدود السلطة الروحية وبين ما هو خارج ذلك ».

واستمرت الحملات..

كتب كيشهام عن رجال الدين « الذين كانوا أسوأ رجال السياسة في التاريخ.. ».

واستفاد من غلطة الكنيسة واعتقادها بأن الكفاح المسلح يتناقض وتعاليم المسيح.

والكنيسة الكاثوليكية، بطبعها محافظة.. وقد أضرت في مراحل كثيرة بالحركة الثورية.

وردود المطران كولين لا تخرج عن وجهة نظر رجل دين محافظ:

« حديثي غير مجد مع الذين يوحي لهم الشيطان بأفكارهم

فينصحون بالثورة والعنف».

ولم تكن الحملة ضد الكنيسة، بل ضد تدخلات القساوسة في السياسة.

فالمناضل الايرلندي متدين لكنه عنيد، وعلى استعداد للذهاب الى الجحيم في سبيل مبادئه. وكان لا بد من الصراع بين الكنيسة والحركة الثورية.

فقد ألقت الكنيسة بكل ثقلها ضد الفينيين.. واعلنت ان من الخطايا عند الله قراءة صحيفة «الشعب».
فردت الصحيفة:

«في الوقت الذي يتحول فيه قساوسة الى جهاز تجسس لعدونا، نعلن أن نائب قائد حركة الفينيين هو من رجال الدين»..

وقامت الكنيسة بحرمان كل متعاطف مع الفينيين من الطقوس الدينية الملزمة.

وفي الخامس من مارس وقعت الانتفاضة الجديدة. آلاف من المسلحين بالرماح هاجموا الثكنات واستولوا عليها بقيادة

ضباط من الايرلنديين العائديين من ميادين القتال الاميركية.

ولكن هذه الانتفاضة هي الاخرى، كانت فاشلة منذ البداية. آلاف الناس مسلحون بالرماح والبعض الآخر يقودهم ضباط أو يقودون أنفسهم.

ووقعت حوادث انفجارات في لندن، ومانشستر، وألقي القبض هناك على عقيد من الفينيين، وضابط أميركي من أصل ايرلندي، والرائد مايكل ديري، وقامت مجموعة من الفينيين بالتعرض لعربة السجن وانقذوهم في وسط شارع منشستر الرئيسي، وقتل أحد الحرس..

وفي ذلك اليوم جنت بريطانيا من الغضب.. واعتقل كل ايرلندي في مانشستر. وقامت عصابات بالتعرض لهم في كل بريطانيا..

حكم على ثلاثة متهمين بالشنق - ليس بينهم الفاعل الحقيقي - وحفر الحادث خليجاً عميقاً من الكراهية بين ايرلندا وبريطانيا.

وكتب أحد الذين نفذ فيهم حكم الموت وصيته في شكل

قصيدة اتخذت نشيداً للثورة..

وشهدت تلك الفترة نشاط الزعيم السياسي تشارلس بارنيل (1845 ـ 1891) المسمى بملك ايرلندا غير المتوج فدافع في البرلمان عن المتهمين في مانشستر ووصفهم بالابطال. والتقى مع الفينيين في المطالبة باصلاح أوضاع الفلاحين. وتلك فترة قاسية شهدت طرد 300 الف فلاح من الاراضي، واغتالت منظمة مجهولة اللورد فردريك نائب الملك في ايرلندا. واتهمت صحيفة التايمز بارنيل بأنه المخطط للاغتيالات، ولم يثبت ذلك في محاكمته..

وتاريخ صحيفة التايمز حافل بالكراهية للايرلنديين. فما لبثت أن شهرت ببارنيل مرّة أخرى بسبب علاقته بأمرأة متزوجة.. وأثر ذلك شجب أساقفة ايرلندا بارنيل في بيان رعويّ.. ومات بعد أسابيع، وهو دون الخامسة والاربعين بعد محاولات خائبة في البرلمان للحصول على الحكم الذاتي لايرلندا.

وجاءت فترة كان نائب الملك في ايرلندا هو آرثر جيمس بلفور.. المشهور في التاريخ العربي بوعده المعروف للصهاينة في

رسـالتـه الى اللـورد روتشليـد في 2 نـوفمبر 1917 ، والاتحاد الصهيوني نقل اليه « العطف الملكي من صـاحـب الجلالـة على الاماني اليهودية الصهيونية بانشـاء وطـن قـومـي لليهـود في فلسطين » . .

وآرثر بلفور معروف في التاريخ الايـرلنـدي بـ « بلفـور الدموي » اذ زج بالاحرار في السجون . . وكانت المحاكمات في عهده تجري في ايـرلنـدا بـدون محلفين . وقـوى مـن سلطـة « البوليس الملكي الايرلندي » وهي جندرمة احترفت التنكيل بالايرلنديين . .

اعتقل اعضاء البرلمان ، وقال :

« لا توجد هنا أمة ايرلندية » .

وفي عهده كانت الاعتقالات من بديهيات الحياة اليومية . ومالك الارض الانجليـزي هـو السيـد المطلـق ، يتصرف في مستأجري الارض كالغنم . وعمـل على تحطيم الروح القـوميـة والاساءة الى سمعة الزعيم الاصلاحي بارنيل . وكان شعاره ، ان العسف يصلح حال الايرلنديين . وهكذا سجل في تاريخ ايرلندا

تحت اسماء مختلفة:

فهو بلفور الدموي. وبلفور الوحشي، وبلفور الطاغية.

أجبر الفلاحين على دفع أجور مضاعفة لملاك الاراضي.. وساق الآلاف منهـم الى المعتقلات أو طـردوا مـن الأراضي وأيديهم على رؤوسهم.

.. يقول شاعر عن لسان بلفور:

« كل ايرلندي سيعتقل عاجلاً أو آجلاً ».

— 6 —

ثورة عيد الفصح 1916

«يا قيثار بلدي العزيز، في الظلام
وجدتك حلقة السكون القاتمة قد
رانت عليك طويلاً.
عندما فككتك باعتزاز يا قيثار
جزيرتي
ووهبت أوتارك جميعاً للنور
والحرية والغناء».

«شون أوكيسى»

مسرحية المحراث والنجوم

1935

قبل الحرب العالمية الأولى بسنوات، أسس آرثر جريفت

منظمة « الشين فين » عام 1905 متجددة من الفينيين[22] ..

وأنضم اليها بعض السياسيين الايرلنديين بعد فقدانهم الثقة لما يسمى بالتمثيل الايرلندي في البرلمان البريطاني في الوقت الذي انحصرت فيه الاهداف السياسية البرلمانية في الحصول على الحكم الذاتي .

والى جانب الشين فين ، أسس آلن ماكنيل (استاذ التاريخ القديم بجامعة دبلن) جيش المتطوعين رداً على تشكيل جيش المتطوعين في شمال ايرلندا من المتطرفين البروتستانت ، دعاة التبعية الانجليزية .

وفي الوقت الذي سمحت فيه سلطات الاحتلال للمتطوعين البروتستانت باستيراد السلاح حرمت ذلك على الايرلنديين الجنوبيين الكاثوليك . وجيش المتطوعين الجنوبي ، يتأسس من قاعدة عريضة من الطبقة الوسطى ، أما جيش المواطن

(22) منظمة « الشين فين » هي الآن الجناح السياسي للجيش الجمهوري الايرلندي .
أما حركة « الفينيين » فقد سبق الحديث عنها .

الايرلندي (1913) « الذي كان منوطاً به حماية العمال المضربين من هراوات الشرطة والرأسماليين.. كان قائده هو الزعيم العمالي الاشتراكي جيمس كونلي، وكان الكاتب المسرحي شون أوكيسى أميناً عاماً له ».

وانتشر جيش المتطوعين سريعاً، في سنة واحدة ارتفع عدد رجاله من عشرة آلاف الى مائة وخمسين الف عضو...

ولم يكن تنظيماً حزبياً، بل كان تنظيماً عسكرياً قوامه من الجنود الايرلنديين السابقين في الجيش البريطاني وكل مواطن يرغب في الالتحاق به..

وساهمت المرأة في حركة المتطوعين، وجيش المواطن في تهريب الأسلحة، والانخراط في التدريب والتسلح ـ وكانت كونستاس ماركوفيتش احد قادة هذه الحركة..

وتجمعت كل التكوينات من الأخوان الايرلنديين الجمهوريين وجيش المتطوعين وجيش المواطن الايرلندي تحت مظلة الشين فين في حلم شعبي وفي وقت تحققت فيه شكوك

الزعيم بارنل عندما طالب الشعب بمراقبة التجربة البرلمانية بحذر . .

واندلعت الحرب العالمية الأولى سنة 1914 وتلك فرصة لايرلندا اذ انشغلت بريطانيا بالحرب ضد المانيا . يقول المثل الايرلندي السائد :

« في مصاعب انجلترا الفرصة السانحة لنفع ايرلندا »[23] .

وإذ ذاك صدر بيان الفصائل القومية المختلفة الى الشعب :
« على كل ايرلندي أن يساعد في جلب الأسلحة والتدرب عليها استعداداً لفرض استقلالنا على مستعبدينا . . » .

« وتدفق سيل الأسلحة المهربة على ايرلندا »[24] .

---

(23) 'England's Difficulty, Ireland's Opportunity'.

(24) الحرب العالمية الأولى ـ دار العلم للملايين. بيروت ط 2 .. ص: 207 .
ويقول هذا الكتاب: « (في هذه الفترة) من الحرب العالمية الأولى. تألفت في ايرلندا منظمة (..) وكان هدفها جلب الأسلحة للشباب الايرلندي وتدريبهم عليها والفتك بكل من يدعو لبقاء النفوذ الأجنبي في الجزيرة. وكانت هذه المنظمة سرية بطبيعة الحال، وكان الضباط الايرلنديون هم الذين يرسمون خططها ويمونونها بالأسلحة =

ومع الحرب العالمية أشاعت بريطانيا أنها دخلت الحرب دفاعاً عن « بلجيكا الكاثوليكية الصغيرة وعن حيادها ، وعن حق الشعوب الصغيرة في تقرير مصيرها » .

وروجت بأن الدفاع عن ايرلندا هو بالتطوع في الحرب وأن « أي حركة وطنية هي طعنة من الخلف » ، ورسمت للحرب صورة مرحلة أقرب الى نزهة وأضفت على الحرب هالة من القداسة بما نشرته « من هراء . وخدع آلاف الايرلنديين ، فتطوعوا للحرب مع بريطانيا وماتوا في الجبهة » (130 الف جندي ايرلندي) .

ورد آرثر جريفت زعيم الشين فين محاولاً ابقاء الشباب الايرلندي بعيداً عن طاحونة الحرب الاستعمارية . .

« ايرلندا ، ليست في حالة حرب مع المانيا . ولا مع أية قوة

= والمدربين . أما كادر الأعضاء فيتألف من كل ايرلندي وايرلندية يتعشق الحرية . لهذا نجد الفتيات هن اللواتي يقمن بتهريب السلاح أما مصدره فهو المانيا وكان رئيس هذه المنظمة مجهولاً » .

والواقع غير ذلك ، فكل الاسلحة المهربة هي 900 بندقية موزر ، 20 الف طلقة في دبلن ، واقل من ذلك في ويكلو . .

أخرى في القارة، عن أي شيء نداقع عن ايرلندا في هذه الحرب؟

ان أوروبا في حرب مع من يحكمون ايرلندا»..

وكانت بريطانيا التي تحكم ايرلندا قد شغلت بالحرب، وتلك فرصة لا تعوض للثورة.

اجتمع المجلس العسكري للحركة الثورية (ـ توم كلارك، وجوزيف بلانكت، وشين ماك ديرمت، وتوماس ماك دوناه، وجيمس كونلي ـ) بزعامة بادريك بيرس واتخذوا قرارهم ـ وهؤلاء يمثلون جيش المواطن الايرلندي وجيش المتطوعين والاخوان الجمهوريين..

وكتب جيمس كونلي قائد المواطن الايرلندي: «سننتهي الى القبر أو السجن، ولكننا سنموت هنا دفاعاً عن ايرلندا».

وبدأت الحرب النفسية ضد الوطنيين، فوصفهم محافظ دبلن بعملاء الالمان. وطالبت صحيفة التايمز البريطانية بتوقيف الصحف الايرلندية. وعندها عرف قادة الحركة الوطنية أن باستطاعتهم الثورة، والقتال، والسيطرة على العاصمة لأسبوع.

باحتلال مناطق معينة، والدفاع عنها رغم إدراكهم بأن هذه الثورة ستسحق.. فقد كان في ايرلندا مائة ألف جندي بريطاني..

وكان روجر كيسمنت ـ الذي سبق وكان قنصلاً لبريطانيا في الكونغو البلجيكي وأميركا اللاتينية[25] ـ قد سافر سراً الى المانيا. لاعداد فيلق من الايرلنديين أسرى الحرب في الجيش البريطاني، وفشل في ذلك. ولكنه نجح بعد مماطلة من القيادة الالمانية في إرسال سفينة أسلحة. غير أن تفاوت البرقيات،

---

(25) حينما كان روجر كيسمنت الايرلندي الأصل يعمل كقنصل لبريطانيا في الكونغو البلجيكي نشر تقارير عن معاناة الافارقة الذين يساقون كالدواب في السلاسل من أجل المطاط ويموتون كالذباب من الاجهاد مما اثار حملة نقمة في صحف اوروبا ضد الملك البلجيكي ليوبلد الثاني كما قام بنفس الدور في مقالاته عن شعب الهنود في البيرو ـ امريكا اللاتينية الذين يقادون عراة في السلاسل لجمع المطاط سخرة لصالح الطغمة الحاكمة..

ومنح وسام ورتبة فارس لمجهوداته تلك من بريطانيا. وبعد اعتقاله ومحاكمته في لندن في ثورة 1916 نفذ فيه حكم الاعدام شنقاً بتهمة خيانة التاج ويعتبر أحد أبطال الحرية في إيرلندا..

وقد دافع عنه جورج برنارد شو في الصحف...

وتغيير مكان رسو السفينة «أود» التي لم تكن تحمل وسائل اتصال سبب ضياع الشحنة.. من الأسلحة التي تحتاجها الثورة.. إذ حدد وصولها الى شاطىء ليمريك في العشرين من إبريل سنة 1916 ولكن تعليمات ربان السفينة تقضي بالرسو في كيري.. ووصلت هناك بالفعل، وبقيت راسية لمدة يومين دون أن يتصل بها.. واغرقها الربان حتى لا تقع في اسر الاسطول البريطاني المتربص.

شعراء ثوار رأوا الحلم وماتوا..

وفي يوم الاثنين عيد الفصح الرابع والعشرين من يناير سنة 1916 اندلعت الثورة في دبلن وكانت مفاجأة لقوات الاحتلال.

كتائب من جيش المواطن الايرلندي، وجيش المتطوعين احتلت مركز البريد الرئيسي واتخذته مقراً للقيادة، وقاعة الحرية، وجامعة دبلن وستيفنس جرين، وكذلك مناطق مهمة أخرى... وأعلن بيان تأسيس الجمهورية الايرلندية والحكومة المؤقتة لايرلندا الحرة...

قادة الثورة:

توم كلارك...

من شمال ايرلندا (58 عاماً) كاتب وقاص عمل في الجيش

البريطاني برتبة عريف. وكان عضواً في الاخوان الجمهوريين. هاجر لفترة الى أميركا. ثم عاد متطوعاً في حملة تفجيرات وسط بريطانيا (مجلس العموم ومبان أخرى).

اعتقل، وأرسل لقضاء عقوبة الأشغال الشاقة المؤبدة. وكان يحمل اسماً حركياً. هو «هنري هموند ويلسن» قضى خمسة عشر عاماً في المعتقلات البريطانية. وكانت معاملة السجناء قاسية، أصيب من جرائها الدكتور جاهير، وألفير رايت بالجنون.

وسجل توم كلارك تلك المرحلة في إحدى قصصه. وتعرض لاغراءات كثيرة للايقاع بالوطنيين - من قبل سكوتلاند يارد، فرفض ذلك قائلاً:

«أفضل البقاء في السجن الى النهاية».

أطلق سراحه في سنة 1898، فسافر الى أميركا، وعمل هناك في منظمة المهاجرين الايرلنديين الى ان عاد الى ايرلندا في عام 1908.

عمل في متجر صغير للسكاكر والتبغ في دبلن.. «ومن

المفارقة أن يصبح ذلك المتجر الصغير مركزاً للقيادة البريطانية المتقدمة » .

أصبح المتجر الصغير مكاناً لتجمع الشبان المتحمسين، وكان توم كلارك رجل تخطيط بارعاً ينصت أكثر مما يتكلم.

وجد كلارك الحركة الجمهورية للاخوان الايرلنديين في حالة سبات فأعاد صحيفة « الرسالة الايرلندية » .

واسم توم كلارك يأتي في قائمة الموقعين لبيان اعلان الجمهورية في ثورة 1916 نظراً لما قدمه للحركة الوطنية.

ولا يوجد سجل ما قاله خلال محاكمته العسكرية بعد الاجهاز على الثورة. فقد كان عزوفاً عن الكلام. وان ترك كلمة لزوجته التي كانت معتقلة هي الأخرى.

« أنا سعيد بأن تُنهي حياتي فرقة الاعدام فلقد قضيت ما فيه الكفاية في السجون البريطانية » .

وأكد ان ثورة 1916 هي بداية لمرحلة جديدة من الكفاح.
ونطق القاضي بالحكم: الاعدام رمياً بالرصاص.

باتريك بيرس

في غرفة في معسكر ريتشموند في دبلن عقدت محكمة عسكرية جلستها وسط حشد من العساكر والمخبرين..

ووقف سجين طويل القامة، في ملابس جيش المتطوعين الايرلنديين الخضراء.

اسم السجين: باتريك هنري بيرس.

والجريمة «التمرد لغرض مساعدة العدو الذي كانت بريطانيا في حرب معه المانيا».

وبيرس هو قائد الثورة التي «اجهضت وصاحب الفكر الشجاع والجذاب» وتمت اجراءات الدعوى المختصرة سريعاً، بدون محام للدفاع.

والسجين بيرس هو «قائد الثورة» ومؤسس مدرسة للتعليم في ايرلندا، وشاعر، وناقد. وانتهى المخبرون من شهادتهم بأن باتريك بيرس هو القائد الرئيسي والمحرض للمتطوعين وللاخوان الجمهوريين.

رد بيرس على أسئلة رئيس المحكمة باقتضاب ـ ولا توجد

وثائق عن تلك المحاكمة السرية، وان ظهرت بعد ثلاثين عاماً من وقوعها، عندما قام أقارب عريف بريطاني بعد موته بتسليم ملاحظات مؤرخة في 2 مايو 1916، في سجن كيلمينهام الى أسرة باتريك بيرس، ومنها الكلمة التي وجهها للمحكمة، وهذا نصها.

«أرغب في أن أكرر ما قلته سابقاً للجنرال ماكسويل (قائد القوات البريطانية في ايرلندا):

ان غرضي من التسليم بدون قيد أو شرط، هو لايقاف ذبح المدنيين من سكان دبلن.

وحفظ حياة رفاقنا بدون قيد أو شرط، هو لايقاف ذبح المدنيين من سكان دبلن.

وحفظ حياة رفاقنا الشجعان الذين حاربوا لستة أيام بشجاعة لا مثيل لها في التاريخ العسكري.

أنا أفهم الآن، ان حياتي هي الغرامة التي يريدها القانون البريطاني. وسأموت مبتهجاً اذا أظهرت الحكومة البريطانية الشهامة، كما أظهرت القوة، كي تقبل حياتي فداء، وتصدر

عفواً شاملاً عن البقية من الرجال والشبان الشجعان.. والأمر الثاني، أريدكم ان تفهموا جيداً: ان أي قرار أقوله هنا، يؤخذ على عاتقي ومسؤوليتي وحدي، ولا يجب أن يتخذ كشهادة ضد آخر، ممن عمل معي، او قام بتوقيع أي وثيقة الى جانبي. أنا القائد الأعلى للقوات المسلحة للجمهورية الايرلندية التي حاربت ضدكم طوال الأسبوع الماضي.

واني كنت رئيس الحكومة المؤقتة وأخذ على عاتقي كل عمل أو قول في هذا النطاق.

مذ كنت طفلاً في العاشرة، ركعت ذات ليلة الى جانب سريري وعاهدت الله أن أهب حياتي لتحرير بلادي، وحافظت على العهد.

لقد ساعدت في تنظيم وتسليح وتدريب أبناء وطني حتى النهاية، كي يحاربوا من أجل حرية بلادهم. والزمن المواتي كما اعتقدت قد جاء، ودخلنا المعركة. وأنا سعيد بذلك وقد خسرنا كما يبدو، ولكننا لم نهزم - ان نهزم هو أن نرفض القتال - وسنسلم الامانة للأجيال الايرلندية القادمة. واستنكر

ما قاله المدعي العام، من انني التمست المعونة من عدو بريطانيا.. ألمانيا لا تختلف في شيء بالنسبة لي.

وما ذكره المدعي العام العسكري من أنني طلبت، وقبلت المساعدة الالمانية في شكل سلاح، وحملة عسكرية لم أسأل ذلك، ولم أقبل ذهباً المانياً. وليس بيني وبين المانيا أي اتصال ولكن، ما قلت غرضي ان نفوز باستقلال ايرلندا، قمنا بضربتنا الاولى.

ولكن سأكون ممتناً وسعيداً لأي مساعدة من حليف. في الختام اعتقد أنني اتحدث الى إناس انجليز يقدرون حرية بلادهم. والذين أشاعوا أنهم يحاربون من أجل حرية بلجيكا لا شك، سيقدرون إننا أيضاً نحب الحرية ونرغبها. مهما حطمتمونا سننهض من جديد، ونجدد القتال ضدكم.

لا يمكنكم قهر الحنين الايرلندي الى الحرية. إن كان عملنا ليس كافياً.. لكسب الحرية لبلادنا فسيحققها أطفالنا».

وانتهت المحاكمة ونطق القاضي بالحكم:

الاعدام رمياً بالرصاص.

وحوكم في نفس اليوم توماس كلارك، وتوماس ماك دوناه من الموقعين على وثيقة اعلان الجمهورية.

توماس ماك دوناه

توماس ماك دوناه (38 عاماً) استاذ اللغة والأدب الانجليزي بجامعة دبلن.. وناقد متميز أو «شاعر الوعد» وآمر الفيلق الايرلندي الثاني في جيش المتطوعين، قاده الحماس الوطني للأدب الايرلندي الى الثورة ثم الى فرقة الاعدام.. ساهم في المجلة التي أشرف عليها وكتب فيها قادة الثورة وكذلك الشاعر و.ب. ييتس..

عمل على احياء اللغة الايرلندية، ووجد فيها كبرياء جديداً. ولد في ضواحي تباريري، أحب الكتب منذ طفولته، وتكونت لديه منذ الصغر مشاعر متنامية نحو الكلمات.. درس في الجامعة، في دبلن، وباريس. نشر مسرحية «عندما يأتي الفجر» وقدمها مسرح الآبي الشهير في عام 1907، ونشر كتباً شعرية ونقدية عن الأدب الايرلندي. وعندما أسس باتريك بيرس مدرسة القديسة إدنا.. اختاره كمدير لها..

اشترك مع الشاعر جوزيف بلانكيت (من القادة أيضاً) في تحرير المجلة النقدية الايرلندية.. ثم غمر نفسه في العمل الوطني.. وقد استغرقت محاكمته ربع ساعة. غير ان تلك المحاكمة التي سجلها بالاختزال ضابط بريطاني مشكوك فيها.. ونطق القاضي حكمه: «بالاعدام رمياً بالرصاص»..

بادريك بيرس

شقيق القائد باتريك، قضى ساعاته الأخيرة في كتابة رسالة ونظم قصيدتين.. «عابر السبيل والأم».. قال في الرسالة الى والدته:

«قمنا بالواجب.. وسيقول عنا الناس أشياء مؤلمة.. ولكنهم فيما بعد سيفهمون عملنا»..

أغضب المحافظين الفيكتوريين بشعره ودعوته الى ضرورة أبعاده ايرلندا عن كل ما هو انجليزي في الأدب، والرياضة، وساهم في هذه الحركةالأدبية، وصف الايرلنديين الذين يتحدثون بالانجليزية: «أن مثلنا مثل رجل الماني يتحدث اليونانية» رفض العمل في المحاكم العليا، واهتم بالمسرح،

والشعر ، والقصة، كتب بالايرلندية شعراً ، وبالانكليزية قصصاً. وأسس مدرسة ثانوية ايرلندية. رفض الدخول في البرلمان: « ان القيادات السياسية تخلت دوماً عن الشعب في اللحظة الحرجة. اوكنيل هرب بعيداً حينما بدأت المدافع تقصف الشعب في كانترف في ثورة 1798»..

ورفض ستيفانز اعطاء الأمر بالتحرك في 1865 .. طلب ان تنقش على شاهد قبره هذه الكلمات « أغانيه كانت جملة قصيرة من أغنية أبدية ».

جوزيف بلانكيت

شاعر حارب مع شقيقيه جورج، وجاك في مبنى البريد العام، قاتل بشجاعة، ونظم صفوف المتطوعين مقتحماً شارع مور ، رغم اعتلال صحته.. كان شجاعاً من أجل بلاده.. درس التخطيط والتعبئة العسكرية، وهو الذي وضع الخطة العامة للعمليات. كتب وحرر صحفاً ثورية، وهو أصغر من وقع بيان الجمهورية والاستقلال، 29 عاماً.. ديوانه المطبوع هو « السيف » عقد قرانه على خطيبته قبل ان يعدم.. وكان شهود عرسه من حراسه الانجليز.. اذ صرفت هي الى خارج الثكنة،

وهو الى ساحة الاعدام..

شون ماك برايد

حارب ضد الاستعمار الانجليزي في حرب البوير في جنوب افريقيا..

رفض ان تغطى عيناه مواجهاً فرقة الاعدام « هذه ليست المرة الأولى التي أواجه فيها بنادقهم » وحكم حتى ذلك الوقت على تسعين شخصاً بالاعدام رمياً بالرصاص..

هزت الاعدامات ايرلندا..

وكتبت صحيفة مانشستر جارديان في 10 مايو 1916 قائلة:

« من البشاعة ان تعقد محكمة عسكرية سرية وراء الأبواب المغلقة، وتستمر في معالجة هذه القضية الكبيرة، والخطيرة، بمزيد من الدم الساخن »..

ونشرت صحيفة « الايرش تايمز » صورة لأحد القادة، جيمس كونلي الجريح، وقالت بأنه ما زال في سجن القلعة.. وطالبت في افتتاحيتها باعدام الجميع..

«إذا عومل هؤلاء الاشخاص بـرحمة، فـانهم سيعتبرونها نقطة ضعف من جانب الحكومة»[26].

شون ماك ديرميد

صحفي من شمال ايرلندا.. عاش طفولته في اسكوتلندا، وكان شديد الولع بالتاريخ الايرلندي، ما لبث في شبابه أن عاد الى وطنه..

ساهم في تكوين جيش المتطوعين.. وبالكتابة.. في صحيفة «الحرية الايرلندية» التي أصدرها..

أصيب بالشلل، وكان يتنقل من متراس الى آخر يتوكأ على عصا..

لا يوجد سجل لمحاكمتـه.. اعـدم وهـو في الثلاثين مـن عمره..

---

(26) تعتبر صحيفة الايرش تايمز صدى للتايمز اللندنية ولا تزال تصدر إلى الآن في دبلن.. وإن أخذت صفة الاعتدال.

جيمس كونلي

قائد عمالي، اشتراكي الاتجاه، عمل في الجيش البريطاني، شارك في وضع الخطة العامة للثورة..

أسس جيش المواطن العمالي..

لم يكن ميالاً الى الحديث عن جمال الطبيعة الايرلندية «ايرلندا بدون شعبها لا تعني لي شيئاً».

ألف كتاب «العمال في التاريخ الايرلندي» (ترجم الى العربية)..

وأسس الحزب الجمهوري الاشتراكي.

عمل على تنظيم العمال الايرلنديين في نقابة واحدة فقال:

«لا يهمني دين هذا او ذاك، كل ما يهمني هو أن يحصل في نهاية الأسبوع على أجرته». نظم اضراباً هائلاً لمدة ستة شهور لعشرين ألف عامل، بعد قتل الجيش لعدد من العمال

وقد كتب عنه ييتس قصيدة سبتمبر 1913 ـ وهاجم الصحافة وتجار دبلن بأنهم يريدون إذلال العمال وحل نقاباتهم.. وسجن كونلي، وأرسلت نقابات العمال في بريطانيا

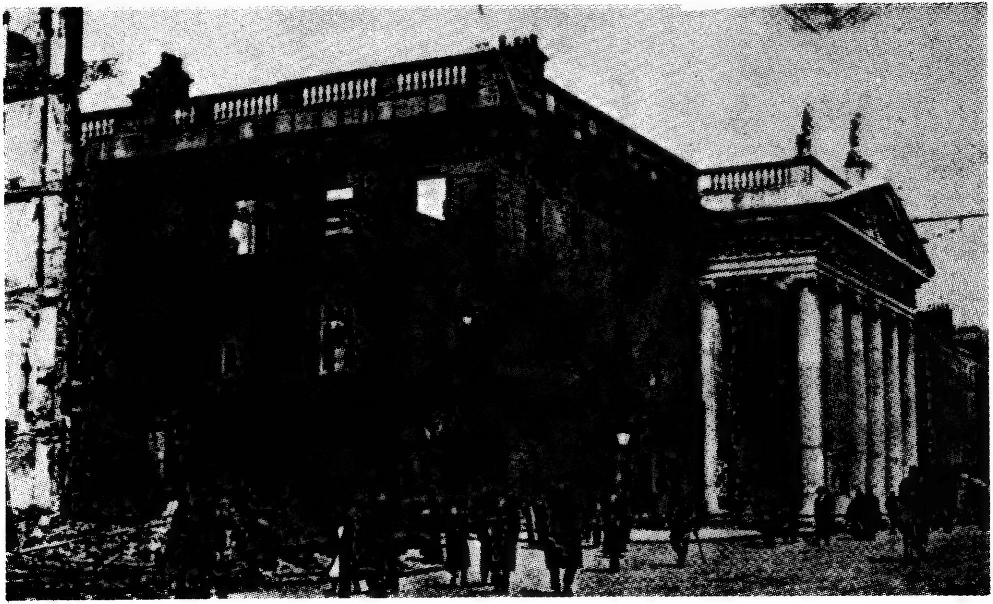

وسط مدينة دبلن التي هدمتها مدافع الاسطول البريطاني ومدافع الميدان في ثـورة 1916 .

سفن تموين لتقديم الغذاء للعمال في دبلن وقد جرح في أحداث الثورة.. وحضر محاكمته وهو في سرير المرض.

شارك معه في القتال إبنه الصغير ذو الستة عشر عاماً وكذلك زوجته.. أُعدم وهو في كرسي بسبب جراحه.

□ □ □

منتصف يوم عيد الفصح.. رفعت الراية الايرلندية الخضراء، تتوسطها القيثارة الايرلندية على مبنى قاعة الحرية في دبلن..

وتشكل أمام القاعة جيش المواطن الايرلندي من مائتي متطوع في تشكيل عسكري..

وفي الجانب الآخر فوج المقاتلات والكشافة الايرلندية.. والملازم كونستاس ماركوفيتش في زيها العسكري الأخضر تقود مائة رجل وثلاث عشرة أمرأة لتسيطر على منطقة ستيفنس جرين عند نهاية شارع جرافتن التجاري..

وخرج جيش المتطوعين من سبعمائة رجل..

هؤلاء، هم الذين استجابوا للنداء من بين الآلاف وبكى بعض الرجال المتفرجين من الفرح.

وتحدث جيمس كونلي ـ قائد جيش المواطن ـ عن حرب الشوارع..

كانوا جميعاً مسلحين بـالبنـادق (لي انفيلـد ، ومـوزر ، ومارتني ، وبنادق صيد ، وبقنابل يدوية ، وبالرماح ، والمطارق ، ومتفجرات في علب صفيح وأنابيب طويلة للتفجير)..

مشى هؤلاء في خطوات ثابتة لاحتلال مبنى البريد العام وسط شارع اوكينيل الرئيسي في العاصمة..

ومن هناك، أعلن باتريك بيرس رئيس الحكومة المؤقتة، مولد الجمهوريـة الايـرلنـديـة والاستقلال مـن بيـان إعلان الجمهورية.. وأرسلت بذلك برقيات الى العالم الخارجي..

وتوجهت مجموعات الى احتلال مناطق رئيسية مثل جسور قنوات نهر الليفي، ومصانع المدينة، ومركز البريد الرئيسي، كما استولت الفصيلة التي ترأسها الملازم كونستاس ماركوفيتش على منطقة ستيفنز جرين [27] وسيطروا على العاصمة..

---

(27) كونستاس غوريوت (1868 ـ 1927) التي أصبح اسمها ماركوفيتش بعد زواجها، وقد قامت بدور قيادي في جيش المواطن الايرلندي منذ =

أقل من الف إيرلندي يقودهم شعراء وكتاب في مواجهة عشريـن الف (20000) جنـدي، يـؤازرهـم الأسطـول، والمدفعية..

لم يتبادر لأذهانهم البحث عن بطولة انتحارية، بقدر ما كان حافزهم الثأر للوطن..

لم يتلقوا سـوى الحد الأدنـى مـن التـدريـب العسكـري وقاوموا.. مكبدين خسائر للقوات المحتلة تزيد عن الثلاثة الآف قتيل..

« ومن هنا يسطع مجدهم، لقد انقـذوا روح ايـرلنـدا مـن اللامبالاة.. لأسبوع كامل، استعمل الجيش البريطاني، البحرية لدك العاصمة فتهدم السوق، ووسط المدينة بكامله.. ».

= عام 1914 ومن قادة ثورة عيد الفصح 1916. وقبض عليها بعد فشل الثورة فحكم عليها بالسجن مدى الحياة ولم يحكم عليها بالاعدام كسائر قادة الثورة لكونها إمرأة. عينت وزيرة للعمل في الحكومة الوطنية الأولى عام 1921، وذلك بعد جلاء القوات البريطانية عن ايرلندا وقامت بخدمات عديدة في تحسين الأوضاع الاجتماعية للطبقات الفقيرة.

وكان الانجليز يتقدمون وأمامهم ساتر بشري من الايرلنديين العزل.. ردوا على أعقابهم مرة تلو الأخرى..

أحرق العدو بالقنابل الملتهبة وقنابل النفط وحدات كاملة من العمارات، وقصفوا بالمدفعية التي نصبت أمام الجامعة مراكز الثوار ليلا ونهاراً. بالقنابل ذات الشظايا، والقنابل الحارقة وبالمدافع الرشاشة..

كان مقر القيادة في مبنى البريد العام، يقاوم، ما دام المبنى قائماً.. ولا زالت المدينة في حوزة الثوار منذ يوم الاثنين 24 ابريل..

وملأت جثث العدو أرصفة شارع كامدن، وعلى ضفاف القنال في بولز بريدج..

وكانت كتيبة تلو كتيبة تعود منسحبة في فوضى. والرصاص يلاحقهم. يتراجعون زاحفين من حديقة بيت الى آخر وبعضهم لا ينهض أبداً.

تواصل القتال ليلاً ونهاراً. وكان الثوار يقاتلون، مرددين أناشيد الزهو والحرية.

وكما تقول أغنية شعبية:

« حرروا دبلن من العار، وسجلوا اسمها خالداً بين المدن».

وقال القائد بيرس:
« لو كان علي أن أذكر أسماء الأبطال فإن القائمة ستكون طويلة.. انهم كل الذين ثاروا واحداً واحداً».

مع يوم الجمعة.. تحول مكتب البريد الى جحيم ملتهب. وكان كونلي جريحاً، ممدداً على نقالة يعاني من آلام هائلة وبدأت الغرغرينا تسري في جراحه ومع ذلك لا زال عقل الثورة..

وأخذ مبنى البريد ـ مركز القيادة ـ يتداعى وانقطع الاتصال ببقية الفصائل منذ الصباح.. ولا شك ان الذخائر قد نفذت.

ومن هنا جاءت قصص بطولية كما حدث في قاعة باوهيل اذ استطاع أربعة من الثوار قطع الطريق على طلائع العدو.

وقاد الملازم مايكل مالون مع سبعة أفراد هجومات على

إمدادات التعزيزات القادمة من انجلترا.. وكانوا جميعاً يقاتلون دون طعام ونوم، كانوا جميعاً أبطالاً..

في مساء يوم الجمعة، نفذت الأغذية من دبلن نفسها. وانقطع الماء والكهرباء.. ولم تصدر الصحف.. وفيما الثوار يقاتلون كان سكان دبلن يتفرجون او ينهبون المتاجر. وغالباً ما كانوا يقدمون الماء والقهوة لجنود الاحتلال...

فلم يفهموا، لماذا يقاتل الشباب في العاصمة ولأجل أي شيء؟!.

فيما اعتقد الانجليز بسبب قوة المقاومة وتركيز رصاص الثوار بان الالمان نزلوا في العاصمة.

وأصدر الجنرال سيرجون ماكسويل قائد الجيش البريطاني أمراً بقتل كل من ساعد الثوار واعدام كل من يقع في الأسر.

وبدأت دبلن تحترق، وتتهدم.

وكتب فيما بعد: «هؤلاء الثوار الجهنميون يملكون بنادق كثيرة، وقدراً كافياً من الذخيرة. وأصبحت المدينة غير آمنة لأحد.. فهذه الجماعة الجهنمية (الثوار) في كل مكان، وعلى

أسطح المباني يطلقون النار على كل شيء يتحرك ».

وكتب الى وزارة الحرب:

أنا أمقت هؤلاء الناس.. ان انتفاضة شعبية على وشك ان تنشب ».

وفي يوم الجمعة او يوم الموت والرعب قام أحد الضباط (المقدم تيلور) باعدام المدنيين، وبرد ذلك « بأن الجنود تأتيهم النيران من أمامهم ومن خلفهم، ومن الجانبين وخشينا على سلامة القوات ».

وقد أحكم الثوار سيطرتهم على محطة القطارات لمنع وصول نجدات من الجنوب. وفي شمال دبلن كان الملازم توماس آش يخوض حرباً ضروساً. وسام اورالي وخمسة من أخوته، وأحد ابنائه عند مصنع يعقوب، بعد أن استولوا مع فوجهم على أربع ثكنات للشرطة ودحروا قوات جندرمة الملك وقد انتهوا بعد الثورة الى سجن واحد. « الابن والأب والأخوة الخمسة ».

وفي مساء السبت نفدت الذخائر، فقرر قادة الثورة الاستسلام غير المشروط.

كونستانش ماركوفيتش قائدة منطقة جرين في ثورة 1916 - حكم عليها بالسجن المؤبد بدلا من الاعدام لكونها امرأة.

وبدأت الوجوه المعروفة من السياسيين ورجال الكنيسة والانتهازيين يتحسرون على جمال المدينة التي شوهتها النيران..

وفي إدانة الانتفاضة وصفوها بالجنون، والمؤامرة الالمانية. وبعث تجار دبلن بشكرهم للجيش وأعلنوا الأسف لمقتل العدد الكبير من الضباط..

وقال رئيس الأساقفة المطران دوهاترتي:

« الشعب الايرلندي لا يريد الثورة. لأن كل الحركات الثورية في الماضي أخفقت».

وتحدث أساقفة آخرون ببهلوانية، أدانوا الثوار، ولكنهم وصفوهم بالوطنية والشجاعة.

وأعطى مجلس الوزراء البريطاني القوات في ايرلندا صلاحية التصرف المطلق في إعدام من يشاؤون ما عدا النساء الثائرات.

وقتل في تلك الانتفاضة المفكر الاشتراكي شيهان سكيفنجتون مع اثنين من الصحافيين على يد الجيش، حينما كانوا ينصحون الجمهور بالتوقف عن عمليات النهب..

يقول مؤرخ غربي:

« لقد جن جنون القيادة البريطانية، دمرت دبلن بشكل مأسوي وقد دام القتال لمدة سبعة أيام».

ويقول مؤرخ أشار الى هذه الثورة عرضاً في كتاب عن الحرب العالمية الأولى:

« انه لمن المحزن أن يتصرف الانكليز على النحو الذي صدر منهم تجاه ثوار إيرلندا الوطنيين.

لكن الاستعمار هو الاستعمار، في كل مكان، وكل زمان..

لقد أعدم الانكليز قادة الثورة رمياً بالرصاص. جيء بأحد هؤلاء القادة (جيمس كونلي) جريحاً عاجزاً عن المشي فأطلق عليه الرصاص وهو في كرسي مرضه.. أما الضباط الهاربون، حين تم إلقاء القبض عليهم، فقد عوملوا معاملة المجرمين.. لقد عذبوا بوحشية وسيقوا الى الأشغال الشاقة المؤبدة الى معتقلات في بريطانيا. وأما الأفراد، فقد طوتهم جدران معسكرات التعذيب والاعتقال الرهيبة..

وبعد كل ذلك ثبت للعالم أن مفهوم « حق تقرير المصير للشعوب الصغيرة » في نظر بريطانيا « التي أعلنت الحرب دفاعاً عن حياد الشعب البلجيكي الصغير! هو مجرد هراء، حين يصطدم بمصالح الاستعمار البريطاني ».

وسجل الشاعر الايرلندي المشهور وليام بطلر ييتس تلك الثورة في قصيدة تعتبر من أجمل قصائد المناسبات في الشعر الانجليزي. بعنوان عيد الفصح 1916 : « إذ انها من أعظم القصائد السياسية في الشعر الانجليزي.. وفي القصيدة مشاعر متضاربة وتعقيد لفظي يصحب عادة المواقف التي لا يمكن تبسيطها أو تفسيرها في كلمات بسيطة وإلا فقدت معناها وأهميتها. فلقد خرج إلى الحياة جمال رهيب »(★).

(★) هذا الرأي للناقد العربي اللبناني الدكتور سهيل بشروئي، وهو ناقد من طراز رفيع.. وضع عدة مؤلفات عن الشاعر ييتس باللغتين العربية والانجليزية. وعنه، نقلت ترجمة القصيدة.

عيد الفصح

1916

لقيتهم في آخر النهار
مقبلين بوجوه مشرقة
من مكاتبهم القائمة
وسط بيوت رمادية بنيت في القرن الثامن عشر .
ومررت بهم مومئاً بالتحية
وبكلمات تأدب لا معنى لها
أو تباطأت برهة وتفوهت
بكلمات تأدب لا معنى لها
وقبل أن انتهي من ذلك كنت أفكر
في قصة ساخرة أو حديث لاذع
لاسلي رفيقاً

في النادي ، عند المدفأة
لأننا ، هم وأنا ، كنا على يقين
أننا نعيش في مكان يلبس الكل فيه أردية مرقعة ولكن الآن
تغير كل شيء تغيراً كلياً
لقد خرج إلى الحياة جمال رهيب .
لقد أمضت تلك المرأة[28] أيامها
بحسن نية سادرة
وأمضت لياليها في نقاش طال .
حتى احتد منها الصوت .
وهل كان أعذب من صوتها
وهي تمتطي صهوة الجياد في سباق الصيد
حينما كان في ريعان الصبا والجمال ؟
اما هذا الرجل فقد كان يدير مدرسة
وامتطى صهوة الشعر ،
والآخر . رفيقه ومعينه[29] .

---

(28) كونستاس غوريوت ماركوفيتش .

(29) باتريك بيرس (1879 ـ 1916) أحد قادة الثورة ومن الشعراء والمربين .

فكان على وشك أن تكتمل مواهبه
وكان بإمكانه أن ينال الشهرة في نهاية الأمر ،
إذ كان رقيق الطباع إلى حد بعيد
وإلى حد بعيد كان صاحب فكر شجاع جذاب
اما هذا الآخر[30] كنت أتصوره سكيراً عابثاً
فظ الطباع
ومع أنه بالغ في الاساءة إلى أعز الناس إلى قلبي
فها أنا أذكره قد تخلى عن دوره في الملهاة العارضة
فقد تغير هو بدوره أيضاً
وتحول تحولاً كلياً
لقد خرج إلى الحياة جمال رهيب .
القلوب التي تحيا لهدف واحد
عبر أيام الصيف والشتاء
إنما تبدو كأنها قد سحرت فانقلبت حجراً

---

(30) توماس ماك دونا‌ه (1878 ـ 1916) الشاعر والناقد الايرلندي وأحد قادة ثورة 1916 .

يعوق انسياب الجدول الزاخر بالحياة.
فالحصان القادم على الطريق،
والفارس الذي على ظهره، كما هو الحال مع الطيور التي تحلق
بين السحب المتقلبة ـ
كل هذا يتغير دقيقة فدقيقة ـ
وينزلق حافر الحصان عند حافة الجدول
فيغوص فيه الحصان ناثراً المياه من حوله ـ
ويغوص دجاج الماء ذو الأرجل الطويلة
وينادي دجاج الماء ديوكها
وتحيا الحياة دقيقة فدقيقة:
والحجر باق، وسط ذلك كله.
كل تضحية طويلة الأمل
تحيل القلب إلى حجر.
فمتى، يا ترى، تكفي التضحية؟
إن ذلك من شأن السماء
اما نحن فشأننا نهمس الاسم تلو الاسم.
كما تهمس الام باسم إبنها

عندما يغلبه النوم
ويسيطر على أطراف جامحة النشاط.
وهل ذلك غير هبوط الليل؟
كلا، ليس هذا بالليل، بل انه الموت
فهل كان ذلك الموت موتاً لا ضرورة له؟
فبعد كل ما قيل وبذل من جهد
قد توفي انجلترا بالوعد
ولكننا نعرف ما كان يراودهم من الأحلام
وحسبنا أنهم رأوا الحلم وماتوا -
وماذا لو أن الحب العارم
أذهلهم حتى أذاقهم الموت؟
هذا قصيدي أسجل فيه ما يلي:
« ماك دوناه » و« ماك برايد »(31)

---

(31) شون ماك برايد من قادة الثورة وشارك في حرب البوير ضد بريطانيا على فيلق ايرلندي وزوج « مود جون » أشهر امرأة في تاريخ ايرلندا السياسي إذا وهبت حياتها لخدمة القضية الايرلندية والدفاع عن حقوق ايرلندا، وقد كانت محور معظم قصائد الشاعر ييتس وحولها الى ما يشبه اسطورة أو بطلة أساطير فهي الزهرة والوردة والربيع..

و « كونلي وبيرس »[32]
من الآن ومهما بقي الزمان
وحيث ترفع الراية الخضراء :
إنهم تغيروا كلياً فقد خرج إلى الحياة جمال رهيب » .

وفي خلال اسبوعين تحول قادتها من شعراء مجانين الى أبطال شهداء .

« فهذه الثورة وإن فشلت في الظاهر فإنها تركت أثراً كبيراً فيما تبعها من أحداث سياسية مهدت السبيل أمام ايرلندا كي تنال استقلالها بالرغم من أنها لم تنل وحدتها الجغرافية والسياسية الكاملة » .

---

(32) جيمس كونلي وبيرس، من قادة الثورة الأول، كاتب ومؤسس نقابات العمال، والثاني شاعر وناقد وسبقت الاشارة اليهما، وقد أعدما .

— 7 —

حرب الاستقلال

«تحت جبال ويكلو، يهجع المحاربون الأشداء في اغفاءة منذ قرون، ينتظرون المعركة الأخيرة الحاسمة، وعندها ينهضون ليقاتلوا... وتتحرر بلادهم الى الأبد»..

«أسطورة ايرلندية»

لأكثر من 750 عاماً من الاحتلال، كانت ايرلندا تبحث عن الحرية.. وكانت تضحيات قد بذلت في ثورات 1798 و 1848 و 1867 .. وفشلت جميعاً.. غير انها أعادت الاعتبار للشعب، وانعشت الذاكرة، وكذلك كانت نتيجة ثورة 1916 ..

ورغم ان منظمة «الشين فين» لم تكن قد تدخلت بشكل حقيقي في عام 1916 .. الا أنها حصدت مجهودات تلك الاحداث.

إذ نجح من كان على قائمتها الانتخابية. ففي سنة 1917 كان 75% من البرلمان الايرلندي الممثل في البرلمان الانجليزي في « لندن » من الشين فين.. والبقية من الاتحاديين « المؤيدين للاحتلال وهم من بروتستانت الشمال ».

رفض البرلمانيون الوطنيون الذهاب الى لندن، وعقدوا اجتماعاً، وأسسوا ما أطلقوا عليه « الجمعية الايرلندية » أو البرلمان الايرلندي[33].. وانتخب ايمون ديفاليرا رئيساً له.. وهو الوحيد من قادة ثورة عام 1916 الذي نجا من الاعدام..

وأعلنت انجلترا ان ما يسمى بالبرلمان الايرلندي هو جماعة خارجة عن القانون. وذهب البرلمان الايرلندي للعمل تحت الأرض.

في تلك الفترة، بدأ البروتستانت في الشمال ـ وهم من أصل المهاجرين من عهد الاستيطان الاستعماري ـ يصرون على أن إيرلندا قطعة أرض بريطانية.

---

(33) Dail Eireann.

وهناك وقع أكثر من أربعمائة الف (400000) وثيقة بالدم من أجل أولستر البريطانية.

وكانت مساهمة الشاعر الاستعماري رديارد كبلنج أكثر من أديبة، اذ أرسل 30000 جنية لتسليحهم..

وشارك في حملة التسليح شخصيات بريطانيـة معـروفـة.. وسمح بتفريغ شحنة بنادق ضخمـة تـزيـد على الثلاثين الف بندقية.. دون ان تتعرض لها السلطات. فيما كانت حيازة سلاح في الجنوب عقوبتها الموت. وكان رد الجنوب في عقد جلسة للبرلمان الايرلندي عنوة وأعلنت الجمهـوريـة، وسمـى جيش المتطوعين وجيش الاخوان الجمهـوريين بـالجيش الجمهـوري الايرلندي، او جيش الجمهورية لحماية الاستقلال.

ومن لنـدن أعلـن السيـاسي البريطـاني تشرشـل ان قيـام الجمهورية في إيرلندا أمـر غير مسمـوح بـه، ولا يمكـن حتى التفكير فيه.

وبدأت الحرب.

وساهمت الصحف البريطانية في التمهيد للحرب بدعايتهـا

القديمة.. عن ايرلندا الرافضة لواجب الطاعة الأبدية للتاج.

ولامتصاص قوة الجيش الجمهوري، فرضت الخدمة العسكرية الاجبارية لتعويضها عمن التهمتهم الحرب العالمية الاولى. (أكثر من نصف مليون جندي في حرب السوم وفردان) بعد فشلها في الانتصار على الالمان..

وبدأت حملات وحشية من الرعب، وحرق البيوت واعتقال الوطنيين والبرلمانيين. ووصل عدد المعتقلين خلال أسابيع الى عشرين الفاً.

ولم يكن أمام ايرلندا من خيار عدا الحرب. وجيش الثوار - الجيش الجمهوري - ليس منظمة يجمع أفرادها الغضب، بل هي جيش الجمهورية، وكان النضال يسير على جبهتين: جبهة سياسية بقيادة ديفاليرا، وجبهة عسكرية بقيادة مايكل كولنز. وأثبت الأخير قدرة تقترب من الأسطورة في إدارة الحرب وقد شارك في ثورة 1916 - وأصبح الآن هو المحرك الرئيسي للاحداث، بعد أن نظم القوات الشعبية في الجيش الجمهوري.. في حرب عصابات. فلم يكن بإمكان غير هذا النوع من القتال أن يصمد في وجه قوات الامبراطورية.

خليط من ضباط الصف والضباط المسرّحين استباحوا ايرلندا في الحرب الايرلندية البريطانية عام 1920 .

وجمع كل الخيوط بيده، متخلصاً من كل حصار لاعتقاله، ومن كل فخ للايقاع به حياً او ميتاً.

لقد تحول الى شبح يخيف الانجليز، فهو على الساحل الغربي يستقبل شحنة أسلحة من أميركا، ثم هو في لندن بعد قتل المستشار العسكري البريطاني في شمال ايرلندا.. فيما هو لم يغادر العاصمة دبلن مطلقاً. ومع ذلك فقد ظهر لهم في عشرة أماكن في يوم واحد..

وقد أصبح رسمياً وزير دفاع الجمهورية. وكان مشهوراً بقدرته على العمل المستمر، والدهاء. وتحولت الحرب من مجرد الدفاع الى الهجوم. ومواجهة الارهاب الرسمي البريطاني بعنف مواجه للارهاب..

يقول.. توم باري قائد ومنظر حرب العصابات في جنوب ايرلندا عن أسلوب الحرب الاستعمارية في كتابه الصادر سنة 1946 « خلال مائة سنة، شنت انجلترا سبعاً وسبعين حرباً لم تربح واحدة منها إذا خاضتها بمفردها..

كانت تعتمد على الآخرين من جنود المستعمرات، أو

توجه الأسلحة الحديثة في مواجهة الثـوار الافـارقـة المسلحين بالحراب.. وكان علينا أن نواجـه ارهـاب الجيش وتفـوقـه، بحرب عصابات، وبعنف مضاد.. ان الانجليز يرتدعون إذا ما دارت الدائرة.. ووجهوا بنفس أسلوبهم الوحشي».

وكان تسليح الجيش الجمهوري الايرلندي، مشكلة وجد لها القائد مايكل كولنز حلاً.. بمهـاجمة الثكنـات البريطـانيـة والاستيلاء على الأسلحة والمتفجرات من العدو.

وتحولت المناوشات المتفرقة الى عمليات منظمة ومستمرة.

وكانت بريطانيا وقت الحرب تعتمد على الشرطة الملكية الايرلندية. وهي قوة عسكرية مشكلـة على غـرار الجنـدرمـة العثمانية. وإن كانت تفوقها وحشية وتسليحاً. تحكم ايرلندا من خلال الفي حصن وقلعة.. وكانت مسلحة من أخمص القـدمين حتى الاسنان.

وكانت الجندرمة الملكية هي عيون وآذان السلطة، وقيل انها لا تعرف ماذا يفعل المواطن الايرلندي فقط، بل وبماذا يفكر أيضاً وحتى الكلاب لا تنبح إلا باذن مسبق منها..

ولهذا ركز مايكل كولنز على نسف حصون الجندرمة.. وطردها من الريف.

وكانت مخابراته قوية داخل الجيش البريطاني.

فتأتيه المعلومات الكافية والدقيقة عن تحركاتها، ويعرف مسبقاً أين ومتى سيهاجم.. فيتخذ قراره بالحركة عن معلومات مسبقة.

وهكذا حرمت بريطانيا من أداتها الطيعة «الجندرمة» التي كانت أداتها للقهر والحكم. ووسيلتها للتجسس والمعلومات والتي بقيت لعهود.. قنوات الحكم البغيض..

وبدأت حرب العصابات تنتشر وتشتد خصوصاً في الجنوب. وهذا التخطيط هو الذي تبعته حركات ثورية أخرى في العالم فيما بعد.

وتم احتلال ثكنات عسكرية، وسحبت الحاميات المنعزلة، ووجدت الثكنات الأخرى صعوبة في الحصول على التموين أو التعاون مع الأهالي.

وبتحطيم الجندرمة الملكية لم تجد الحكومة سنداً عدا

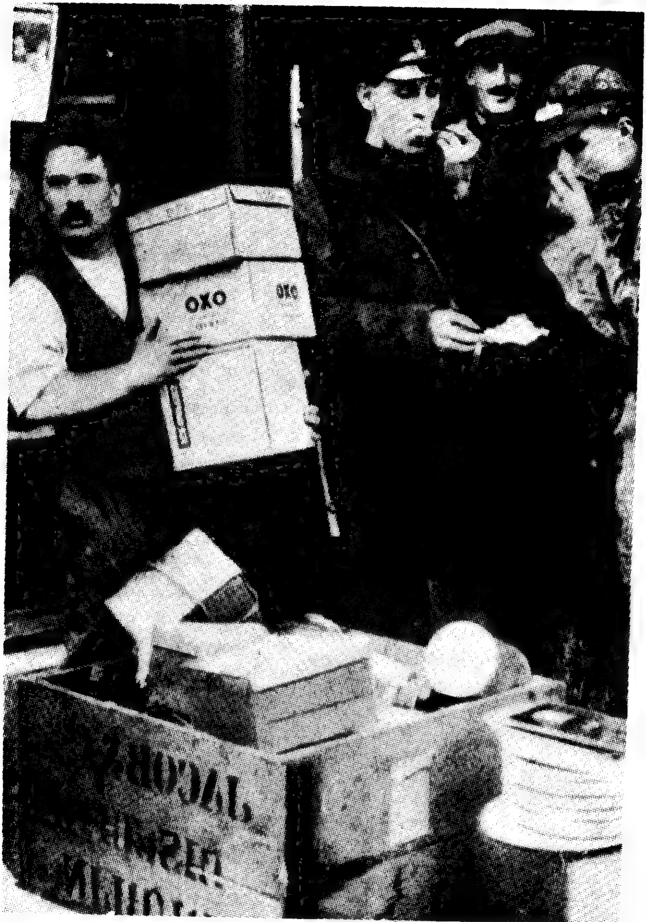

الجيش البريطاني في حملة نهب وسلب في مدينة كورك
قبل احراقها .

« كورك » ثاني مدن ايرلندا احرقها الانجليز في ثورة 1919 .

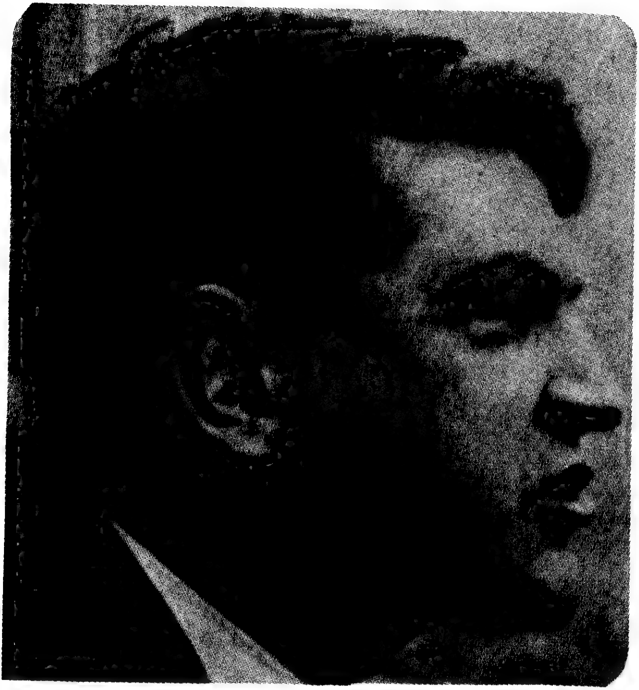

مايكل كولنز شارك في ثورة عام 1916 وقاد الجيش الجمهوري الايرلندي في الحرب البريطانية الايرلندية (1919 - 1922) ابن الفلاح ومنظر حرب العصابات التي انتهت بجلاء الانجليز عن الجنوب.

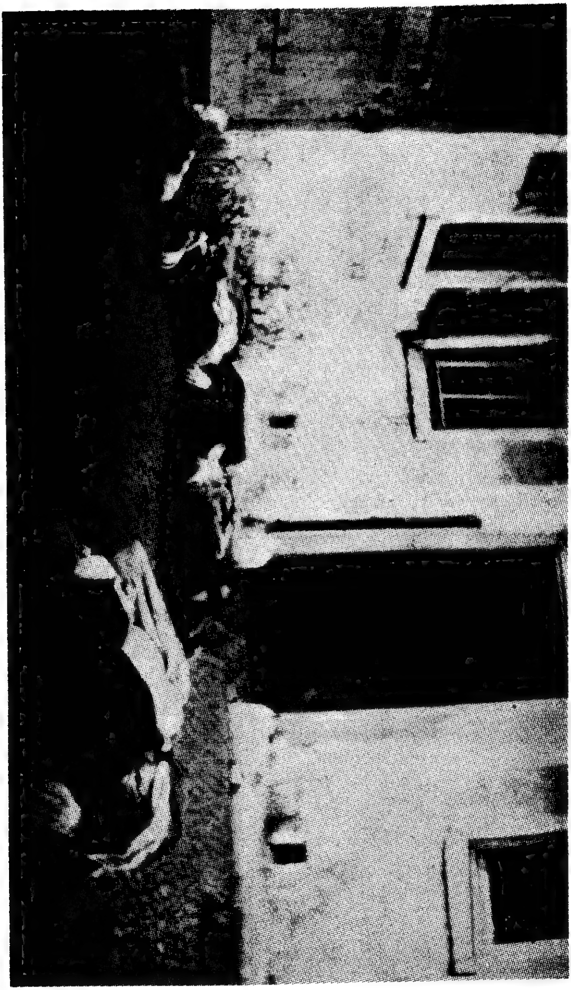

كان جيش الاحتلال يعدم الأسرى من الجيش الجمهوري الايرلندي.

العسكر. فألحقت بالجيش قوتين ارهـابيتين، الفـرقـة الأولى: خليط من الشرطة والجنودِ السابقين في الحرب العالمية الأولى، ومن ضباط الصف لها زي لقيط من معاطف الجيش الكاكي، وسراويل الشرطة السوداء والتي سميت «البلاك آندتانز».

والفرقة الثانية: مـن ضبـاط سـابقين في الحرب (انجليـز وأجانب).

تركت لهم صلاحيات مطلقة، وشجعوا على النهب والحرق والقتل ولم يكونوا يسألون عما قـامـوا بـه مهما كـانـت تلـك الأعمال، ومهما اقترفوا من جرائم..

وأعلنت الأحكام العرفية، وكان الأسرى يعدمون فوراً.

وأحرقت مدن بكاملها ـ مثل مدينـة كـورك ـ واعتقـل الزعماء السياسيون من الشين فين.

فواجه الجيش الجمهوري الايرلندي، ترويعهـم وارهـابهم بترويع وعنف مضادين. وكانت منطقة كورك ـ حيـث ينتشر «الطابور الطائر» بقيادة توم باري ـ مقبرة للغزاة، وكان هذا الشاب الشجاع الذي وجد نفسه في صحراء العراق مجنداً مع

البريطانيين يقول ـ القائد العام السابق لقوات الجيش الجمهوري الايرلندي الذي كان برتبة عريف في الصحراء العربية ـ في تقديم كتابه حرب العصابات في ايرلندا :

« هناك في الأرض العربية التي كانت مسرحاً للحرب بين قوتين إمبرياليتين متخاصمتين هي تركيا وبريطانيا . . استيقظت على صدى البنادق تطلق في عاصمة بلادي ايرلندا . انها يقظة قاسية ، فالبنادق تحصد أبناء شعبي من افراد جيش تطوعت معه . وقد طغت أصوات الطلقات في بلادي على طلقات الحرب من حولي . .

وفي نشرة الأخبار التي توزع على الجنود قرأت أخبار الثورة في إيرلندا . . . وكيف مات الثوار بالمئات . وأعدم القادة وأسر الآلاف . . ودمرت المدينة .

لقد حملني حب الاستطلاع الى الحرب . وأنا في التاسعة عشرة من عمري للدفاع عن حرية الشعوب الصغيرة مثل بلجيكا . وربما للشعور الغامض الذي يمنحنا إياه امتلاك بندقية والسفر الى الاراضي البعيدة .

وهكذا عدت من الحرب، لأطالع تاريخ بلادي في كتابات ولف تون وجون ميشيل.. وأعرف فصول المأساة من مجاعة ومعاناة شهدتها ايرلندا طوال سبعة قرون من الاستعمار البريطاني. وهكذا التحقت بالجيش الجمهوري. ولم تكن انجلترا وقتها كما كانت في سنوات 1798 و 1848 و 1867..

انها الامبريالية في عمر الشيخوخة.

وأصبح للرأي العام العالمي التأثير الكبير.. وحتى الصحافة البريطانية نفسها تغيرت ونالت حرية أكثر.. واختلفت عن الماضي إذ وجدت بعض الاقلام الشريفة طريقها إلى القراء، وان لم تكن متعاطفة مع مبدأ الاستقلال الايرلندي.. فهي غير راضية عن مجازر جيش الملك في ايرلندا..

لقد راهنت الحكومة على حملة ارهاب وترويع سريعة.. لكن أسلوب الحرب الثورية الجديد جعل الحرب تستمر، وتتواصل، لقد كان الجيش الجمهوري وسط شعب متعاطف ومناصر مثل السمك في البحر».

يقول مؤرخ بريطاني:

« لقد ركز الايرلنديون جهودهم لقتل أكبر عدد من قوات الجيش »[34].

ولم يكن الجيش الجمهوري الايرلندي جيشاً نظامياً برواتب وإدارة وثكنات.. بل كانوا أفراداً متطوعين.. بلا أجر.. يقومون بواجب وطني.. فهم في جزء من النهار يقومون بأعمالهم.. فيما هم، بعد ذلك، يتفرغون للحرب، في فصائل وألوية متحركة يظهرون ويختفون في السهوب والحقول. وكل ما يحصلون عليه هو مؤونة بسيطة، وذخيرة قليلة.. وكانوا يدفعون ثمن ذلك في اغلب الوقت.. ولم يكن بينهم الشجاع والشجاع جداً فهم في هذا المضمار على حد سواء.

وكانت مدينة كورك الجنوبية، بركاناً من الثورة.. فتعرضت للانتقام وأحرقت مثل صندوق من الكبريت..

وقتل مرتزقة « البلاك اندتانز » محافظها امام زوجته وأطفاله، كذلك مات خلفه توماس ماك سويني في سجن

---

(34) D. C Somervell Modern Europe, Third Edition, 1945. pp. 8-157.

بركستول في لندن بعد اضراب عن الطعام استمر سبعين يوماً..

كما أعدم الثائر الشاب كيفن باري (19 سنة) في العاصمة وفتحت نيران المدافع الرشاشة على اجتماع شعبي حاشد في ميدان كورك الرياضي.. وأثارت الأحداث الرأي العام الاوروبي والاميركي.

وابتكر ثوار الجيش الجمهوري أساليب جديدة في حرب العصابات ولم يعد جيش الاحتلال يجرؤ على الخروج من الثكنات الا في أرتال عسكرية مجحفلة.. وانتشرت الكمائن على الطرق..

انها حرب من نوع جديد، حددت فعالية الجيش النظامي وأرهقته، وكان سحب قوات استعمارية من بقاع أخرى من أركان الامبراطووية المتداعية مغامرة. في الوقت الذي كان الشعب الايرلندي يرسل بالمتطوعين الجدد كل يوم.. وما كان تدريب المقاتل في الجيش الجمهوري الايرلندي، وتلقينه اسلوب حرب العصابات ليستغرق أكثر من أسبوع على يد توم باري..

وكانت النساء سباقات الى التطوع والتدرب والمساندة. وبكلمة، كانت أمة بكاملها تحارب فوق أرضها ضد قوات غازية..

واذ ذاك طلبت بريطانيا الدخول في مفاوضات[35].

بعد خمسة شهور من المفاوضات الصعبة بين الوفد الايرلندي المكون من مايكل كولنز وآرثر جريفت، والوفد البريطاني برئاسة لويد جورج رئيس الوزراء.. توصل الى صيغة ترضي الحد الأدنى للجانب الايرلندي.. خصوصاً وقد هدد لويد جورج بحرب طاحنة اذا لم يوافقوا على شروط المعاهدة.

وعاد الوفد الى دبلن.. بصيغة الاتفاق الذي وصفه مايكل كولنز:

« بوثيقة موته » وانقسم البرلمان الايرلندي والحكومة المؤقتة بين مؤيد ومعارض « فهي تقر لبريطانيا الاحتفاظ بقواعد بحرية في ايرلندا وتبعية للتاج ».. وكان ديفاليرا من المعارضين لهذا الاتفاق قائلاً: « لقد حاربت في ثورة 1916 من أجل

---

(35) ورد الاقتراح البريطاني لإيقاف القتال في خطاب الملك جورج.

نساء ايرلندا في مظاهرة احتجاج ضد الجيش البريطاني عام 1920 .

ايرلندا الموحدة لا المقسمة ».. وأصبح ذلك منهجه وحتى النهاية وكان ذلك هو السبب الذي أوصله في الانتخابات وحزبه « الفينا فول »[36] « جنود القدر » الى الحكم طوال عشرات السنين التالية: فيما قرر مايكل كولنز بأن هذا أقصى ما استطاع الحصول عليه وليس في الامكان أكثر من ذلك وتعهد باحترام الاتفاق..

وهكذا وقع تقسيم ايرلندا، هذا التقسيم الذي أثبت فيما بعد بأن قضية الشمال مشكلة عسيرة..

ولم يضع تقسيم الحدود المصطنعة في الاعتبار رغبات الاهالي الكاثوليك في فيرماه، وتايرون: هم الغالبية وحتى ديري التي يزيد عدد الكاثوليك فيها عن ضعفي عدد البروتستانت الموالين لبريطانيا..

وهكذا انفصل الشمال. وفي يونيو 1922 صادق البرلمان الايرلندي ـ بأربعة وستين صوتاً مقابل سبعة وأربعين ـ على

---

(36) Flianna Fail.

المعاهدة. فاستقال ديفاليرا احتجاجاً وخلفه آرثر جريفت.. وشكلت الحكومة الوطنية برئاسة مايكل كولنز.. وبدأ جلاء القوات البريطانية..

وهكذا انساقت إيرلندا «نحو الحرب الأهلية بين مؤيدي المعاهدة ورافضيها».

وتلت أحداث دامية، ومحزنة مثل كل حرب أهلية. ووقف الشعب مستنكراً المذابح.

ولما كان غرض هذا الكتاب الصغير هو استعراض الحركة الثورية الايرلندية لذا لم يهتم بأمور تلك الحرب البشعة.. اذ انقسمت بسببها العائلة الواحدة على نفسها وبدأت موجات من الاعدامات والاغتيالات، وطغت أخبار القتل في الصحف فلم تترك مجالاً لشيء عداها..

وكانت تلك الحرب الأهلية بين مايكل كولنز ومؤيدي المعاهدة من جهة، وبين ديفاليرا والجيش الجمهوري الايرلندي الرافض لها من جهة أخرى. وقتل في الحرب مايكل كولنز في كمين قريباً من مسقط رأسه كلونا كينتي (ضاحية من ضواحي كورك).

وهكذا تنتهي حياة كولنز ابن الفلاح الذي عاش حياة نضالية وقاد حرباً، وحقق انتصاراً، وإن كان غير مكتمل - فدفع حياته ثمناً لذلك..

ففي حرب الاستقلال، تحقق حلم أو جزء من حلم كل الثورات الايرلندية الماضية بأسلوب جديد في الحرب هو حرب العصابات..

وقد بلغ عدد المعتقلين في تلك الحرب الأهلية ما يزيد على الخمسة عشر الف شخص.. وقدرت الخسائر المادية بعشرين مليون جنيه.. وقتل فيها وأعدم كل قادة الجيش الجمهوري مثل روي اوكنور الذي أعدم في السجن ولايم لنش الذي مات في إحدى المعارك..

وفي ابريل 1923 عرف ديفاليرا ومعارضو المعاهدة انهم لن يكسبوا الحرب فوقّعوا وثيقة سلم وانهيت حرب الأخوة.. وسجن ديفاليرا..

ومع هذا استمرت الاغتيالات.. رغم تحقيق منجزات

إعادة الأرض للإيرلنـديين ومشـاريـع صنـاعيـة ضخمـة..
وانضمت ايرلندا الجنوبية الى عصبة الأمم سنة 1927 م..

وشهدت تلك الفترة استقالة ديفاليرا من الجيش الجمهوري الايرلندي الذي تحول الى منظمة سياسية وعسكرية..

واستمر ديفاليرا معارضا لفصل الشمال.

واستمر وجود الجيش الجمهـوري الايـرلنـدي كمنظمـة رافضة للمعاهدة في السنوات اللاحقة.

فيما شكل ديفاليرا حزب الفينافول «جنود القدر» ومنذ ذلك الوقت لم يخرج هذا الحزب من الحكم الا لفترتين قصيرتين 1948 - 1954.. وصل فيها حزب الفينافيل «القبائل الغيلية» الى الحكم بالتآلف مع حـزب العمال... وألغـى ديفـاليرا قسم الولاء للتاج البريطاني، ورفض دفع تعويضـات لملاك الارض فأعلنت بريطانيا الحرب الاقتصادية إلى أن دفعـت ايـرلنـدا عشرة ملايين جنيه استرليني كتعويض..

ورغم أن ديفاليرا هادن - لمراحل - الجيش الجمهوري إلا أنه كان مصدر تحد له على الدوام..

ووضع دستور جديد سنة 1937 أعلن بموجبه أن ايرلندا

دولة مستقلة ديموقراطية، تحترم الحقوق الدينيـة، وأكـد على الدور الرئيسي للكنيسة الكاثوليكية..

ومقابل الوضع الخاص بالملك في بريطانيا، أصبح الله في إيرلندا هو مصدر القوة بلا حدود..

وسمي رئيس الوزراء بـ «التيشوك» وهي الكلمة المرادفة لرئيس الوزراء.. واتخذ لدولة ايرلندا الحرة اسم إيرا.. وهو الاسم اللسيتي القديم لإيرلندا..

وعندما نشبت الحرب العالمية الثانية في سبتمبر 1939 أعلنت إيرلندا الحياد.. وحاولت بريطـانيـا الحصـول على مـرافـىء وقواعد أو حتى تسهيلات لبحريتها في المياه الايرلندية، غير أن ديفاليرا رفض. وعندما حاول تشرشل ان يورط ايـرلنـدا في الحرب مقابل تحقيق الوحدة الايرلندية بضم الشمال الى الجنوب، رفض ديفاليرا ذلك أيضاً.وبقيت بلاده على الحياد محتفظة بعلاقات على ذات المستوى بين انجلترا والمانيا..

وخلال فترة الحرب برزت شخصية شون ماك برايد، وهو من المؤيدين والعاملين ضمن الجيش الجمهوري الايـرلنـدي

طوال سنين عديدة، وشغل منصب رئيس أركان الجيش[37].

واستطاع بحزبه التحرري « العائلة الجمهورية » ـ وهو حزب معارض اختفى فيما بعد ـ ان يوجه سياسة الحكومة الى مسألة إعادة أراضي الشمال..

وبعد الحرب (1949) أعلن قيام الجمهورية الايرلندية، وانسحبت من منظمة الكومنولث البريطاني.. وذلك في الذكرى الثالثة والثلاثين لثورة عيد الفصح سنة 1916 م..

ولم يشارك ديفاليرا ولا منظمة الجيش الجمهوري في الاحتفال باعتبار ان ثورة 1916 قامت من أجل تحرير ايرلندا بكاملها لا مجرد الست والعشرين مقاطعة ـ التي تتكون منها الجمهورية الايرلندية الآن ـ ورغم أن ديفاليرا كان هدفه على الدوام الوحدة الايرلندية غير أنه لم يتبن الكفاح المسلح ـ كما

---

(37) شون ماك برايد من الشخصيات العالمية الآن، شغل مناصب قيادية في الامم المتحدة. وصديق لنضال شعوب العالم الثالث. ترأس مجلس السلم العالمي ولجنة العفو الدولية، وقد فاز بجائزة نوبل للسلام.

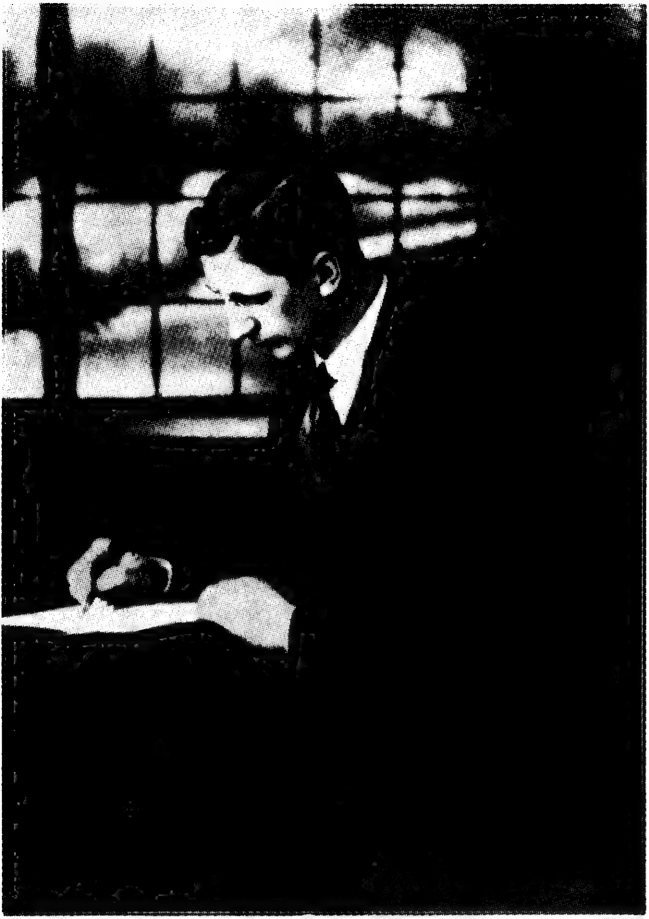

ايمون ديفاليرا .. الوحيد من ضباط قيادة ثورة 1916 الذي نجا من الاعدام، ليصبح رئيس الجمهورية حتى وفاته في السبعينات .

هو شأن الجيش الجمهوري الإيرلندي ـ لتحقيق ذلك الهدف..

وهكذا تحول صديق الماضي ـ الذي وصل الى الحكم بمساندة الجيش الجمهوري الايرلندي وخاض الحرب الاهلية في صف الرفض للمعاهدة ـ تحول الى خصم عنيد ولجأ الى سياسة المهادنة: وغض الطرف عن نشاط الجيش الثوري.. الذي لا زال يحارب في الشمال من أجل ايرلندا متحدة وبدون انجليز..

— 8 —

الجيش الجمهوري الايرلندي (*)

« ايرلندا الشمالية ، هي نتيجة وضع غير طبيعي ، وحزب الاتحاديين « الموالي لبريطانيا » بسبب هيمنته ، نجده على شاكلة الوضع المتسلط للصهيونية ورديفها الحكم العنصري بجنوب افريقيا ».

مجلة « آريس » الناطقة باسم الشين فين . الجناح السياسي للجيش الجمهوري الايرلندي أول ابريل 1981 م . .

حتى نهاية السبعينات ، لم تكن منظمة الـ « ج ج ا » تخرج عن غرض رئيسي هو توحيد الجزيرة المقسمة . . فايرلندا

(*) في هذا الفصل سيشار باختصار الى الجيش الجمهوري الايرلندي بالحروف الأولى : ج . ج . ا .

بوضعها الحالي مجزأة، ومبتورة الكيان الجغرافي.. وكان هذا الوضع سبب الحرب الأهلية بين الرافضين للمعاهدة الايرلندية البريطانية عام 1922 ـ اثر هدنة حرب الاستقلال ـ وبين المؤيدين لها.. والتي بموجبها منح الجنوب استقلالا شبيها بكندا واستراليا في ذلك الوقت.. وتدرج حتى اعلان الجمهورية عام 1944 م. من دون مقاطعات الشمال (انترام، ديري، ارماه، داون، وفيرمناه وتايرون).

وهكذا لأول مرة منذ عُرفت ايرلندا عام 1600 م. ـ وهي اقصى حدود المعرفة التاريخية للجزيرة ـ تخضع لتقسيم غير طبيعي وغير مسؤول، وبذا تحولت ايرلندا بهذا التقسيم الى جزيرة داخل جزيرة..

وفشلت ـ على مدى نصف قرن ـ كل الحكومات الوطنية المتعاقبة على الحكم في الجنوب في تحقيق الوحدة الترابية واعادة الشمال، الخاضع للحكم البريطاني المباشر[38].

---

(38) أحزاب الجنوب الثلاثة هي: العمال، الفينافول، «جنود القدر»، والفينافيل «القبائل الغيلية»..

ومع نهاية السبعينات، وبتحـرك منظـم ومتـواصـل مـن « حركة الشين فين » الجناح السياسي لـ « ج ج ا ».. ظهر اول ميثاق وطني اشتراكي سمي بالابعاد السياسيـة والاقتصـاديـة والاجتماعية لايرلندا الجديدة.

وفي ميثاق الحركة الجمهورية منهاج جديد لايـرلنـدا على أسس ديموقراطية اشتراكية وبناء مجتمع ايرلندي جديد يخلو مـن مظاهر الاستغلال..

وقد كانت بداية الـ « ج. ج. ا » مع حركة الفينيين **1858** ولكنه اكتسب اسمه من البرلمان الايرلندي « دول ايرينيان » أو الجمعية الايرلندية ـ في بداية الحرب الايرلنـديـة البريطـانيـة واعتبر الجيش الرسمي.

والـ « ج. ج. ا »، ليس حركة مركزية بمكاتب وتنظيمات واجهزة تحمل حركته من جيل الى جيل، ولا هو من قبيل الجيش النظامي..

انه ريح خفية تهب من ممرات التاريخ الايرلندي.. غير معترفة بقانون ولا دستور يوضع قبل تحقيق ايرلندا المتحدة

ورافضة حتى الاعتراف بحكومة الجنوب، أو « حكومة الولاية الحرة » كما يسميها كتاب الحركة الجمهورية. وان أوقفت العمليات العسكرية في الجنوب بسبب الرأي العام الايرلندي نفسه، وبصدور امر من المجلس العسكري للجيش الجمهوري في 8 ديسمبر 1954. يمنع على المتطوعين القيام بعمليات عسكرية في الست والعشرين مقاطعة الجنوبية وتخفيض عمليات التدريب الى الدرجة الادنى.

وقد احترم الـ « ج. ج. ا » وعده بايقاف العمليات في الجنوب باستثناء حادث وحيد عام 1976 م..

ولا يمكن بالطبع تسجيل حصر شامل للعمليات العسكرية لـ « ج. ج. ا »..

فهذا الكتاب ليس سجلاً احصائياً للعمليات لضيق المجال الذي يتحرك فيه، وان كان لا بد من الاشارة الى اهم العمليات في الماضي لأن القارىء المتتبع لاحداث العالم اليوم يعرف تلك الاخبار في حينها..

وقد أشير الى بعض العمليات العسكرية في سياق الحديث

فيما مضى احداث مانشستر ، وانفجارات كونفتري في بريطانيا عام 1865 م..

والعمليات العسكرية الدرامية المفاجـأة عـام 1867 ، مثـل الهجوم بالآلاف من الفينيين على كندا ـ المستعمرة البريطانية في ذلك الوقت ـ.

وتوجه سفينة ضخمة ـ كاتاليا ـ من امريكا عابرة البحار الى غرب استراليا التابعة للتاج البريطاني أيضاً لإنقاذ فينيين من السجن اثر لجوئهم اليها..

وكانت حملات التفجير خلال الثلاثينات في بريطانيا نفسها قد تواصلت خلال الحرب العالمية الثانية.. وأعدم على اثره عدد من السجناء الايرلنديين.

وحينما تعرضت جماعات من الـ « ج. ج. ا » الى الاعتقال او الاعدام في ايرلندا الجنوبية خلال حكم ديفـاليرا ـ صـديـق الماضي الذي وصل الى الحكم بدعم الـ « ج. ج. ا » نفسه ـ قام الـ « ج. ج. ا » بأجـرأ عمليـة وأكثرهـا ايلامـاً للحكـم في الجنوب.

اذا استولت مجموعة منهم ليلة رأس السنة الميلادية 1939 على مخازن ذخيرة الجيش الحكومي بكاملها.. وهي كل عدة الجنوب في حالة التعرض لغزو أجنبي ولم يتبق لجيش الحكومة إلا طلقات قليلة.. وكادت تلك العملية أن تؤدي بحكومة الجنوب الى الانهيار العصبي لولا العثور على الجزء الاكبر من ذخيرة الجيش..

وقام طيار ايرلندي خلال الحرب العالمية الاخيرة بالانطلاق بقاذفة قنابل من امريكا.. وهاجم قلب لندن وهبط وراء خطوط الألمان.

وفي سنة 1930 قاموا بمهاجمة مكاتب وشركات اليهود التي تمارس عمليات الرهونات والربا في العاصمة دبلن..

ولا بد هنا من الاشارة الى « الاستشهاد الايرلندي » اضراباً عن الطعام في السجون.. هذا الحدث الذي عرفه العالم وأثار أحراره، فنددوا بالعسف والتعنت والتصلب البريطاني أمام « القرابين البشرية »، واهتم الرأي العام العالمي وتابع أحداث الاستشهاد الايرلندي خلال عام 1981.

.. بداية من بوبي ساند ،

وجو مكدونالد ، حتى فرانسيس هيوز ..

ويتساءل الناس منذ ذلك الوقت لماذا هذا الصيام حتى الموت..؟ وهذا الاحتجاج الطويل بالبقاء في زنزانات عارية رطبة؟ وقد رفضوا حتى ارتداء الملابس يلتحفون بأغطية السجن.. فيما شرع معتقل أثر آخر في الاضراب عن الطعام حتى الموت!

هذا السؤال له صداه ـ الآتي من أعماق السنين ومن مواقف أجيال سابقة.

فالحرب بالنسبة لهم لا تنتهي بالدخول الى المعتقلات واقفال الأبواب، بعد صدور الأحكام.. انها تبدأ من هناك ايضاً، هذا تحد قديم، منذ القرن التاسع عشر..

بدأه أودافن روسا.. من الاخوان الجمهوريين في ديسمبر عام 1865 اثر قيامه بتفجيرات في لندن، ـ واودافن روسا ورد ذكره في فصل الثقافة المطاردة.. لاسهاماته في الادب الايرلندي المكتوب باللغة الغيلية وكذلك توم كلارك.. ـ

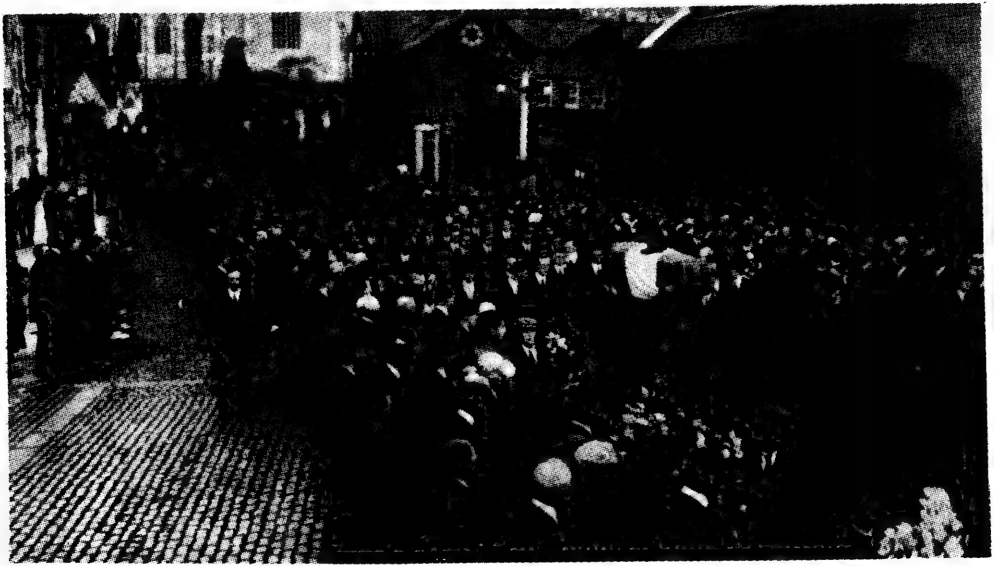

جنازة محافظ ـ كورك ـ ترنيس ماك سويني الذي مات في سجن لندن
بعد اضراب عن الطعام استمر لسبعين يوماً سنة 1920

الذي اعدم مع قادة 1916 . وقد اضطرت بريطانيا لاطلاق سراحها بعد قضاء خمسة عشر عاماً من الاحتجاز ، والمعاملة الوحشية .

« يقول توم كلارك في كتاب له »[39] :

« كان هدف السلطات ان يدفعوا بنا الى الجنون او الموت بمعاملة وحشية ، وبطرق متعددة لا نهاية لها لما يتوفر لديهم من إمكانيات سلطوية وكنا نحن السجناء معزولين ، وأفراداً . ولكننا لم نستسلم » . .

وتسببت المعاملة الوحشية في موت الكثيرين ، وإفقاد آخرين لعقولهم . .

وكان ذلك نفس الطريق الذي سار فيه توماس ماكسويني . . ـ محافظ مدينة كورك ـ في اوج الحرب الايرلندية البريطانية عام 1920 م . . مات في سجن بريكستون ـ لندن ـ بعد اضراب عن الطعام لاثنين وسبعين يوماً . . وترك مذكراته

---

(39) An Irish Felon's Life. Dublin 1922.

التي تدرس لمتطوعي الـ « ج. ج. ا »..

وترك بوبي ساند مذكرات قصيرة وكتابات نثرية، وقصصاً وباقات من الشعر. وظهرت قصيدته « الازمنة الحديثة » في كبريات صحف العالم ونشر له بعد موته - كتابان صغيران[40] ورغم أن هذا ليس مجالاً لتقديم مقاطع من كتاب إنسان يتحدى بآخر ما تبقى له، وهو الترفع عن إهانات السجن والسجان.. واحتقاره الصامت لهم، وتجاهل وجودهم تماماً..

في أسابيع باردة من الاضراب عن الطعام.. كان يخرج من نافذة الزنزانة المهشمة ليزور العالم شعراً، وأغنيات.

كانت الكتابة تهلكه ولا شك، - بعد شهر من الامتناع عن الأكل - ونشأت بينه وبين قبرة تزوره سراً، صداقة فقدمها رمزاً جميلاً وصادقاً.

---

(40) The Writing of Bobby Sand. A collection of Prison Writing, And The diary of Bobby Sand, (Dublin: 1981).

كان السجان يثيره كل يوم بتقديم أفضل ما في « قائمة طعام السجن » لكسر همته. وهو الذي لم يتناول الا كميات هائلة من الماء والملح.. وكان وزنه يتناقص وينكمش يومياً.. وتراءى له حجم الرغيف قد كبر، « بسبب حمى الجوع » لكنه يعرف أن الطعام لم يخلد حياة إنسان واحد في التاريخ. حتى تتحقق مطالبه هو ورفاقه بمعاملتهم كسجناء سياسيين.

ومن المحزن، ان يصل « إنسان » الى الدرك الاسفل مثل محافظ السجن البريطاني في بلفاست، فحينما طلب بوبي ساند قراءة كتاب صغير للشاعر البريطاني « رديارد كبلنج » قال محافظ السجن..

« حسناً فعلت، فلو طلبت كتاباً أكبر لما أنهيته »[41].. [يعني أنه في طريقه الى الموت، وليس امامه وقت كاف لقراءة

---

(41) كبلنج، شاعر استعماري، معروف بمواقفه من تحرر الهند، ومن دعاة الاستعمار البريطاني في ايرلندا - خصوصاً أولستر التي تبرع لمتطرفيها بالمال والقصائد، وهو في هذا المجال قريب الشبه بالشاعر الايطالي العنصري « دانزيو » واحتلال الغزاة الطليان لليبيا..

كتاب كبير الحجم]..

في هذه الظروف كتب بوبي ساند..

ولم تكن تتوفر له حتى أدوات الكتابة، فسجلها على ورق «الحمام».

منذ اليوم الأول كان لا يتحدى السجن والسجان بل الموت ايضاً..

كتب في أول صفحة من يومياته 1 مارس 1981:

«أقف على عتبة عالم آخر مرتجف فليتقبلني الله برحمته»
وكتب في نفس اليوم:

«أنا سجين سياسي، لأنني ضحية حرب متواترة بين الشعب الايرلندي المقموع، وبين الأجنبي المستبد الذي يرفض الجلاء عن ترابنا»..

وبوبي ساند، في مذكراته، وقصصه، وأشعاره.. كاتب ثائر:

«أؤيد، وأناصر حق ايرلندا - الالهي - في السيادة

والاستقلال وشرعية الايرلنديين رجالاً ونساء في تأكيد هذا الحق، بالثورة المسلحة.. ومن أجل هذا، أسجن، وأعذب، وأحجز عارياً..»(*)..

(*) وقد حددت القيادة السياسية لـ ج ج ا أغراض الاضراب الشهير عن الطعام في النقاط التالية:

1 ـ عدم ارتداء ملابس السجناء العاديين وارتداء زي خاص.

2 ـ حرية الاجتماع واللقاء.

3 ـ الحق في العفو وتخفيض مدة السجن.

4 ـ حرية القراءة والكتابة واستلام الهدايا وحق الزيارة.

... اضربوا عن الطعام حتى الموت عام 1981 .

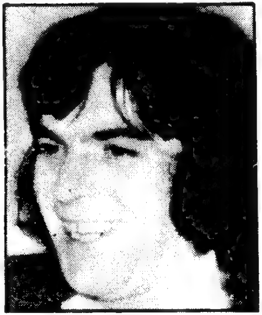

جو ماك دوناه
30 عاماً مات في 9 مايو
بعد 61 يوماً .

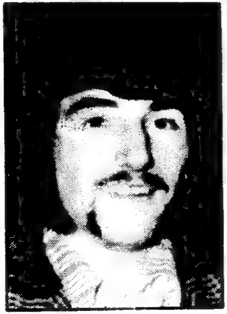

كيفن لنش
25 عاماً مات في اول اغسطس
بعد 71 يوماً .

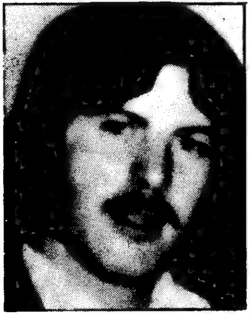

كيرين دوهرتي
25 عاماً مات في 2 اغسطس
بعد 72 يوما .

أضربوا عن الطعام حتى الموت عام 1981

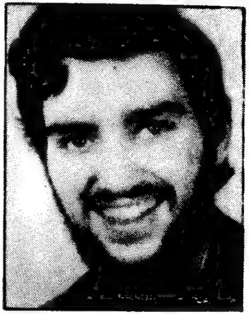

باتسي اوهارا
24 عاماً ـ مات في 21مايو 1981بعد 61 يوماً.

ريموند ماكريش
24 عاماً مات في 22مارس 1981بعد 61 يوماً.

فرانسيس هيوز
26 عاماً مات في 5 مارس 1981 بعد 59 يوماً.

بوبي ساند
الشاعر الثوري وعضو البرلمان البريطاني انتخب وهو في المعتقل مات في 5 يونيو 1981 بعد 66 يوماً.

— 9 —

الخاتمة

فمتى ، يا ترى ، تكفي التضحية ؟

- ييتس -

[... ان العجز البريطاني عن حل المشكلة مرجعه العجز أو القصور في تفسير المشكل أساساً . والحكومات البريطانية اغفلت أو تتغافل ... أن الصراع في ايرلندا ليس دينياً خالصاً وانما في جوهره صراع الشعب الايرلندي للتحرر من السيطرة البريطانية وتحقيق الوحدة الطبيعية بين شطري البلاد] (42) .

رغم - ان دين الشعب الايرلندي في الماضي كان مطارداً مع كل ما يميز القومية الايرلندية - ورغم الحلقة المفقودة في الشمال بين الكاثوليك والبروتستانت وتزايد القتل والاغتيال الطائفي ، فان فلسفة الجيش الجمهوري هو في اقامة ايرلندا

---

(42) تشير الاستطلاعات الصحفية واستبيانات الرأي ان غالبية الشعب البريطاني ترى ضرورة سحب القوات البريطانية من ايرلندا .

المتحدة التي تكفل الحريات الدينية للجميع واعادة ايرلندا الى ما كانت عليه قبل ثمانية قرون ـ وهذا عبر ما تطرحه منظمة « الشين فين » الجناح السياسي « ج ج ا ». ولكـن حكـومـات الجنوب الايرلندي المستقل ترى غير ذلك، [دستورها ينص على وحدة الجزيرة] وتبحث عن حل للقضيـة خـارج نطـاق السلاح. ورغم ان ايرلندا ـ طوال تـاريخهـا ـ لم تحصـل مـن بريطانيا على شيء إلا بالحرب، وهذا ما عبر عنه بدقة الكاتب الايرلندي « شون أوكيسي » عندما قال:

« كل ما حصلنا عليه حاربنا من أجله بالأظافر والأسنان ».

وحينما تعرض الكاثوليك في شمال ايرلندا عام 1969 م ـ وهي سنة اعادة الـ « ج ج ا »، لعملياته العسكرية ـ لهجمة طائفية عنصرية من البروتستانت المسلحين وأحرقت بيوتهم، لم يجدوا حماية لامن الجيش الجنـوبي؛ ولا مـن الشرطـة الملكيـة البريطانية.

عندها، وجدوا السند الوحيد في حركة الجيش الجمهوري ليدافع عن احيائهم في بلفاست، وديري، وارماه. فيما اكتفت

حكومة الجنوب بارسال مستشفيات ميدانية عسكرية إلى الحدود لاسعاف الجرحى الكاثوليك..

وينظر ساسة الجنوب الى توحيد ايرلندا كحلم بعيد، رغم ان عدداً من وزراء حكومة حزب الفينافيل (اكبر الاحزاب الايرلندية) ومن بينهم شارلس هوهي رئيس الوزراء السابق قد اتهموا في قضية مشهورة قبل سنوات بتهريب الأسلحة الى ثوار الجيش الجمهوري في شمال ايرلندا..

غير أن الشماليين الكاثوليك يشعرون بالمرارة من سلبية المواقف الرسمية الجنوبية.

تقول زوجة معتقل في بلفاست:

«الجنوب لا يهتم بنا، وكذلك صحافته. لأن الحرب لم تصل اليهم»..

فيما يتوجه كتاب الحركة الجمهورية بالنقد العنيف لسياسة حكومة الأحزاب في الجنوب وصحافتها مثل ديرمودا وسيلفان..

الذي كتب:

«ان الجنوب دولة مبتورة الكيان، وساستها وكنيستها

يلوذون بالصمت طوال نصف قرن من تقسيم بلادنا، انه صمت متخاذل وجبان.

وصحافة الجنوب جميعها باستثناء صحيفتين لم تترك حجراً الا ورمت به الحركة الثورية..

في الجنوب، وخلال السبعينات جربنا حكومات متوالية لكل الأحزاب ـ الفينافيل، والفينافيل والعمال ـ وكل ما فعلته هذه الحكومات هو طعن الحركة الجمهورية من الخلف..».

ومن المجدي هنا، نقل رأي المؤرخ البريطاني الشهير إ. ج. ب. تيلور.. في حديث اجرته محطة الاذاعة المرئية البريطانية ب. ب. س.. اذ قال:

«بريطانيا، كانت دوماً سبب المشاكل في ايرلندا. والوجود البريطاني هو الذي خلق متاعب ايرلندا.. في الماضي.. وهو سبب تواتر المشكلة في الوقت الحاضر(43)..

(43) أدانت لجنة حقوق الانسان، والمحكمة الاوروبية لحقوق الانسان استخدام الجيش البريطاني لرصاص المطاط في فض التظاهرات الشعبية في شمال ايرلندا. وتسبب هذا النوع من الرصاص في وقوع قتلى وعاهات مستديمة مثل فقدان البصر. وأغلب الضحايا من الأطفال..

ولكنني لست مقتنعاً بأن جلاء القوات البريطانية سيكون سبباً في حرب أهلية..

سيأتي اليوم الذي يمتنع فيه الشعب البريطاني عن إرسال شبابه للموت من أجل قضية لا تهمه من قريب أو بعيد.

وأما الحماس والتعصب لمذهب البروتستانت فغالبية الشعب البريطاني تعتبرها قضية ميتة، عفا عليها الزمن.

وان من يسمون «بالمتطرفين» - الجيش الجمهوري الايرلندي - اثبتوا انهم على حق وفي الطريق الصحيح»[44].

ومن أجل ايرلندا بدون انجليز.. يستمر الـ «ج ج ا» في حرب استنزاف ضد القوات البريطانية، والمنشآت الاقتصادية البريطانية في شمال ايرلندا.

وكادت احداث الاحد الدامي في مدينة لنديري الشمالية أن تدفع بحكومة ايرلندا الجنوبية الى اعلان الحرب على

---

(44) Diarmaid O. Suilleabhain, Ireland Free State or Nation? Dublin: 1977 pp. 17 - 18.

بريطانيا ـ في الثلاثين من يناير عام 1973 ـ « عندما قتل الجيش البريطاني (13) كاثوليكياً خرجوا في مظاهرة سلمية ».

وتكلف الحرب الميزانية البريطانية الف مليون جنيه سنوياً.. وتمتد العمليات الى داخل الاراضي البريطانية نفسها، عن طريق حملات تفجير للقنابل.

وبحلول عام 1972 كانت الحرب شاملة في الشمال. طلبت على أثرها بريطانيا الدخول في مفاوضات مع الجيش الجمهوري وتم اجتماع بين الطرفين في لندن احيط بسرية في ذلك الوقت ووقعت الهدنة.. غير أن تلك الاجتماعات السرية لم يتوصل فيها إلى اتفاق شامل لجلاء القوات البريطانية.

وفي عام 1975 طلبت الحكومة البريطانية الدخول في مفاوضات اخرى، واعطى وقتها للمعتقلين من الـ « ج ج ا ». معاملة السياسيين أو أسرى الحرب..

وأبدت بريطانيا رغبتها في الجلاء ولكنها بعد شهور تراجعت من جديد.. وعادت الحرب في الشمال، وحملة تفجير القنابل في بريطانيا من وقت لآخر هدفها تذكير الرأي العام

البريطاني ـ السريع النسيان ـ بما يجري في ايرلندا .

فقادة حركة الـ « ج ج ا » . يدركون ان بريطانيا لا تهتم كثيراً بما يحدث على أرض ايرلندية ، ولكنها تصاب بالفزع اذا ما امتدت اطراف الحرب اليها . . يقول احد قادة الجيش الجمهوري : « سيتواصل نضالنا ، ووضعنا في الاعتبار ان الحرب ستكون طويلة الأمد ، ولكن هذا لا يعني ان الـ « ج . ج . ا » وضع هذه الفرضية كمبدأ ، أنه يخوض الحرب برغبة في تحقيق أهدافه بأسرع وقت أيضاً » .

من ضحايا رصاص

المطاط في بلفاست

وثيقة اعلان ثورة عيد الفصح 1916 م

من الحكومة المؤقتة للجمهورية الايرلندية
إلى شعب ايرلندا :

أيها الايرلنديون والايرلنديات : باسم الله وباسم الأجيال السالفة التي ورثت عنهم ايرلندا تقاليد أمتها القديمة، انها تدعو من خلالنا أبناءها الى رفع رايتها، والنضال من أجل حريتها .

إن المنظمة الجمهورية الايرلندية وقد نظمت ودربت رجالها من خلال منظمتها الثورية السرية ومن خلال منظماتها العسكرية، العلنية والمتطوعين الايرلنديين، وجيش المواطن الايرلندي وقد أتمت تنظيمها وانتظرت بثبات اللحظة الحاسمة للكشف عن نفسها... فانها الآن تغتنم تلك اللحظة، مدعومة بأبنائها المنفيين في أمريكا وحلفائها الشباب في أوروبا . ومعتمدة أولاً على قوتها الذاتية لتناضل بكل ثقة من أجل النصر .

أننا نقر بحق شعب ايـرلنـدا في ملكيـة ايـرلنـدا وفي السيطرة غير المقيدة للمصير الايرلندي ليكون سيـداً وغير قابل للالغاء. وإن الاغتصاب الطويل لذلك الحق من طرف شعب اجنبي وحكومة أجنبيـة لـن يقضي على الحق، ولـن يقضي عليه أبداً إلا بالقضاء على الشعب الايرلندي. وقد أكد الشعب الايرلندي في كل جيل حقه في الحرية والسيادة الوطنية ست مرات خلال السنوات الثلاثمائة الماضية، وذلك بالسلاح. اننا نعلن بهذا: الجمهورية الايرلنـديـة كـدولـة مستقلة ذات سيادة وننذر حياتنا وحياة رفاقنا في السلاح لقضية حريتها ورفاهيتها ومجدها بين الأمم، معتمدين على ذلك الحق الأساسي الذي تأكد بالسلاح في وجه العالم..

إن الجمهورية الايرلندية تستحق اخلاص كل ايرلندي وايرلندية وتطالبهم بذلك. ان الجمهوريـة تضمـن الحريـة الدينية والمدنية والحقوق المتكافئة والفرص المتساوية لجميع المواطنين، وتقر العزم على متابعة اسعاد ورفاهية جميع الامة وكل أجزائها وعزة ابناء الامة بالتساوي، ونسيان الفروق

التي عززتها الحكومة الاجنبية بعناية، والتي قسمت اقلية من الاغلبية في الماضي..

ان الحكومة المؤقتة المكونة بهذا ستدير الشئون المالية والعسكرية للجمهورية بثقة الشعب. وذلك حتى تحضر اسلحتنا للحظة المناسبة لاقامة حكومة وطنية دائمة ممثلة لجميع الشعب الايرلندي، ينتخبها جميع الرجال والنساء.

اننا نضع قضية الشعب الايرلندي تحت حماية الله الذي ندعوه ان يبارك اسلحتنا. ونصلي أن لا يخون اي شخص يخدمها بالجبن أو الذل أو السلب.

وفي هذه الساعة الهامة يجب أن تثبت الأمة الايرلندية أنها بشجاعتها، ونظامها، وباستعداد أبنائها للتضحية من أجل الصالح العالم؛ جديرة بمصيرها المهيب المدعوة اليه..

وقعها نيابة عن الحكومة المؤقتة:

توماس ج كلارك	جيمس كونولي
سين ماكديا رمادا	توماس ماك دوناه
ب. هـ. بيرس	ليمون كينت

جوزيف بلنكيت

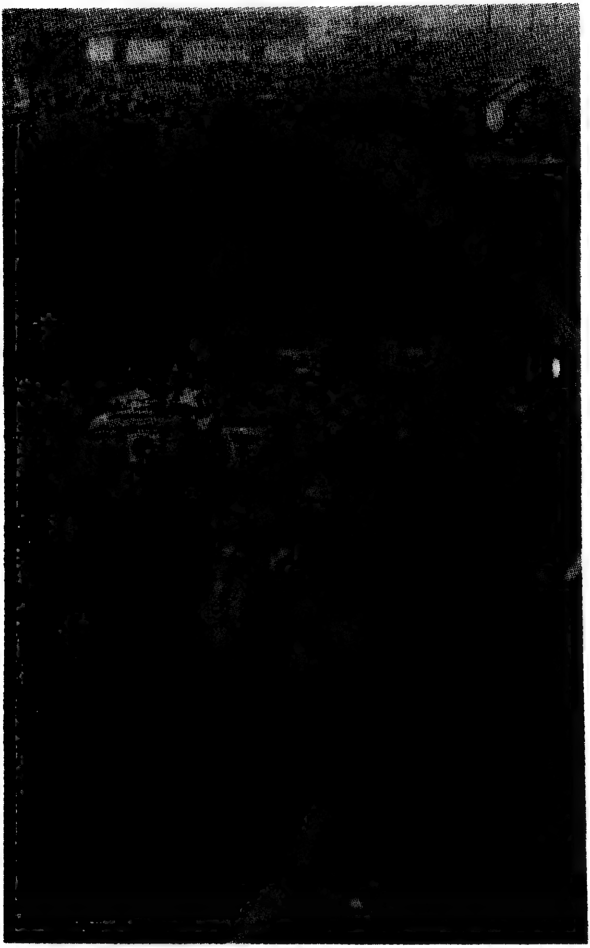

مائة الف ايرلندي 100,000 في جنازة بوبي ساند . .

الأحد الدامي في مدينة ديري (30-1-1972)

تكلفة الحرب في الشمال (1000 مليون جنيه استرليني سنوياً) .

مِن وثائق الأمم المتحدة

في التاسع من اغسطس عام 1981
وجَّه الأخ القائد معمر القذافي هذه
الرسالة إلى الأمين العام لهيئة الامم المتحدة

« يؤسفني أن ألفت انتباهكم لمأساة انسانية مؤلمة جداً ولكن يبدو أننا نعيش في عالم قد مات ضميره من كثرة وشدة الهزات العنيفة وإلا لقلنا مأساة يهتز لها ضمير العالم ولكنه لم يهتز .

« ألفت انتباهكم لمسلسل الموت البطيء والشجاع والمأساوي والذي يقضي كل ستين يوماً على أشجع أبناء شمال ايرلندا ثمناً لموقف بريطانيا المتعنت لعدم معاملتهم لكونهم سجناء سياسيين ويجب أن يكونوا كذلك لأنهم بالفعل يقاتلون من أجل قضية عادلة ومقدسة وهي قضية حرية شعبهم أحد شعوب العالم الصغيرة، لكن له مكان تحت الشمس وفوق الأرض كما خلقه الله.

انه رغم العلاقة الطيبة بين بلادي وبريطانيا ولكني من موقع انساني وثوري وليس من مـوقـع سيـاسي، ولأني لا أتقلد أي منصب سياسي أو إداري أقول من هذا الموقع لا من ذاك وأخاطبكم وأحثكم على التدخل وأخـاطـب مـن خلالكـم ضمير الأمـم المتحـدة لإيقـاف مسلسـل الموت المأساوي هذا والا فان الثمن الذي سيدفعه الجميع المتعنتين والمتفرجين قد يكون أكثر خسارة وأشد ألماً، واذا لم نتمكن من إيقاف هذه المأساة فإن التاريخ والأجيال القادمة وضمير الانسانية عندما يستيقظ سيلعنون مدنية اليوم ويعتبرونها أحد أزمنة الجاهلية البغيضة والأشد عنصرية وانحطاطاً.

اني يا سيادة الأمين العام أرفع صوتي عالياً مستنكراً أشد الاستنكار الموقف البريطاني اللاإنساني وأدين التخاذل العالمي حيال هذه القضية الانسانية بغض النظر عن وجهها السياسي العادل، وانني أعتقـد أن صـوتي هـذا تعبير عـن الملايين التي لا يسمع صوتها، وبهذا أسجل للأجيال القادمة وثيقة من وثائق الأمم المتحدة تجنبني شخصياً وبلادي إدانة

التاريخ في الغد ، وتشكل أيضاً وثيقة دفاع عن مجموعة من آدميين يساقون الى الموت بمعدل فرد كل ستين يوماً بما يماثل قصة القرابين البشرية المرعبة والحزينة في العصور الغابرة دون أن يرفع العالم صوته » .

المــــراجع

1 ـ د. محمد فؤاد شكري، **الصراع بين البرجوازيـة والاقطـاع 1789 ـ 1848**، الطبعة الأولى، (القاهرة: دار الفكر العربي، المجلد الأول 1965).

2 ـ د. سهيل بديع بشروئي، وليم بطلر يتيس، **مجلس عالم الفكر**، (الكويت: المجلد الرابع ـ العدد الثاني. يوليو ـ أغسطس ـ سبتمبر 1973).

3 ـ شون اوكيسى، **المحراث والنجوم**. ترجمة فـوزي العنتيـل، (القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة 1965).

4 ـ دنيس جونسون ـ **القمر في النهر الاصفر**، ترجمة وتقديم أحمد السيد بدوي، (الكويت: وزارة الاعلام ـ من المسرح العالمي 1978).

5 ـ معتز الصويعي، ويوسف الصواني، ايرلنـدا، **مسلسـل الموت المأساوي**، (طرابلس: المنشأة العامة للنشر والتوزيـع والاعلان 1982).

6 — Barry, Tom., *Guerilla Days in Ireland*. (Cork: Mercier press Ltd, 1955).

7 — Beckett, J.C., *The Making of Modern Ireland*.

1603-1923, (London, 1966).
8 – Coogan, T.P., *On the Blanket – The H. Block Story*, (Dublin: Ward River Press 1980).
9 – Dickson, Charles., *The Wexford Rising in 1798 – Its causes and its courses*, (Tralee: 1955).
10 – Leveingson. S., *James Connolly*, (London: Martin Brian and O'keefee, 1973).
11 – O'Hegarty, P.S., *History of Ireland under the union 1801 to 1922*, (London: Methuen and co ltd, 1952).
12 – Moore, Thomas., *The life and death of Lord Edward Fizgerald*, (London: 1832).
13 – O'Connor, Frank., *Michael Collins and the Irish Revolution*, (London: Corgi Books, 1965).
14 – O'Sullivan, Sean., *The Folklore of Ireland*, (London: B.T. Batsford Ltd, 1974).
15 – Pakenham, Thomas. *The Year of Liberty*, (London: Granada 1969).
16 – Young, A., *A Tour in Ireland*. (Dublin: 1832).
17 – Zemmer man Georg., *Songs of Irish Rebellion*, (Dublin: 1961).

مقابلات

★ حوار مع المؤرخ البريطاني (A.J.P. Tailor) عام 1977 . نَشَرْتُ مقاطع منه في **مجلة المنتدى العربي** ـ صدرت لفترة قصيرة عن المكتب الثقافي العربي الليبي في لندن ـ .. في منتصف عام 1977 .

★ ★ ايرلندا ، شريط وثائقي ، صُوِّر في بلفاست عام 1973 ـ من اعداد المؤلف بالاشتراك مع المخرج عبدالباسط البدري ، **أرشيف اذاعة الجماهيرية ـ طرابلس** .

وداع فرانسيس هيوز العاشر في قائمة مسلسل الموت جوعاً .

الفهرس

مدخل : القومية الغاضبة 7

1 ـ صيف دموي وبلا ملك 19

تعالوا إليّ 37

انتفاضة الشمال 43

2 ـ سنوات المجاعة، سنوات التحريض 59

3 ـ المنافي أو الموت 71

4 ـ الثقافة المطاردة 79

إعادة اكتشاف اللغة القومية 85

5 ـ الكنيسة والحركة الفينية 93

6 ـ ثورة عيد الفصح 1916 105

شعراء ثوار رأوا الحلم وماتوا 113

عيد الفصح 1916 139

7 ـ حرب الاستقلال 145
8 ـ الجيش الجمهوري الإيرلندي 173
9 ـ الخاتمـــة 189
وثيقة إعلان ثورة عيد الفصح 1916 م. 198
من وثائق الأمم المتحدة في التاسع
من أغسطس 1981 م. 204
المراجع 207
مقابلات 209

محمد يوسف المرشي

«... إني يا سيادة الأمين العام أرفع صوتي عالياً مستنكراً أشد الاستنكار الموقف البريطاني اللاإنساني وأدين التخاذل العالمي حيال هذه القضية الإنسانية بغض النظر عن وجهها السياسي العادل، وإنني أعتقد أن صوتي هذا تعبير عن الملايين التي لا يسمع صوتها، وبهذا أسجل للأجيال القادمة وثيقة من وثائق الأمم المتحدة تجنبني شخصياً وبلادي إدانة التاريخ في الغد، وتشكل أيضاً وثيقة دفاع عن مجموعة من آدميين يساقون إلى الموت بمعدل فرد كل ستين يوماً بما يماثل قصة القرابين البشرية المرعبة والحزينة في العصور الغابرة دون أن يرفع العالم صوته».

من رسالة الأخ القائد العقيد معمر القذافي
إلى الأمين العام لهيئة الأمم المتحدة ـ عام 1981.

«... لعصور طويلة عاملنا تلك الجزيرة بظلم وجبروت.. ويوم تطفّلنا على ايرلندا.. هو يوم من أيام الأبالسة».

الفيلسوف البريطاني توماس كارليل
في كتابه «الوثيقيّة» الصادر عام 1840.

«... سيأتي اليوم الذي يمتنع فيه الشعب البريطاني عن إرسال شبابه للموت من أجل قضية لا تهمه من قريب أو بعيد».

المؤرخ البريطاني المعاصر إ ـ جي ـ بي تيلور.

«... لقد أعطتنا بريطانيا التعاسة لألف عام».

الكاتب الايرلندي شون اوكيسى.

الثمن
800 درهم داخل الجماهيرية